العدد الثاني عشر
السنة الثالثة

هنا القدس

١٦ آب ١٩٤٢
٤ شعبان ١٣٦١



كان موسم العنب في فلسطين هذه السنة من اخصب المواسم التي رآتها البلاد منذ سنوات عديدة ، وقد بدأ قطاف العنب في جميع الكروم العربية . وننشر في الصفحتين الوسطيين من هذا العدد اربع صور لبعض الكروم القريبة من المجدل

التقدم والازدهار في الشرق الاوسط

تأثير الحرب في نهضة الصناعة والزراعة وسهولة المواصلات

نجد اليوم كل أقطار الشرق الاوسط تعمل جاهدة متعاونة في الانتاج ، وقد أسفرت الحرب عن درجة من المجهودات المشتركة كانت الى ما قبل حين ينظر اليها كأنها حلم بعيد التحقيق ، اذ لم يمض الا سنة واحـدة على تأليف مجلس التموين الاعلى للشرق الاوسط ، ولكن النتائج التى وصل اليها تبعث على الدهشة والاعجاب بحيث تصلح تجارب هذه المنطقة لان تكون امثلة يحتذيها سكان العالم لحل مشاكل التجارة بعد الحرب.

وريع الحرب ناتج عن العامل الجبار الذى يدفع قوة العمل ، وقد تخطت بواعثه الحواجز القائمة بين الحدود والعناصر والاديان المختلفة اذ اتحدت الاقطار الواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط وهى مصر وفلسطين وسوريا ، حتى تخلى أماكن الشحن في السفن للاغراض الحربية ، مع العراق وايران في جبهة واحدة ، يضاف الى ذلك موارد المملكة العربية السعودية واليمن وعدن والاريترية والسودان والحبشة والصومال البريطانى ومالطا وقبرص وجميع أفريقيا الشرقية ، التى تؤلف جانبا من هذه الكتلة.

وقد كانت هذه الاقطار الواقعة على مراكز خطوط مواصلات عديدة معتادة أن تعتمد على استيراد المواد الغذائية الاجنبية. ولو نظرنا اليها الآن نظرة اجماعية لوجدناها في الواقع تكفى نفسها بنفسها من ناحية الاطعمة ، ومعنى اعفاء السفن من نقل مئات الالوف من أطنان البضائع وتخصيص المساحات الموجودة فيها للنقل الحربى ، أن الانتاج الزراعى ازداد زيادة كبيرة بحيث أصبح أحد الاقطار في هذه المنطقة يمد جاره بما يفيض عن حاجته اذا كانت ضرورية لذلك الجار وهذا دليل أيضا على تحديد استهلاك المواد الكمالية غير الضرورية والانقطاع عن البذخ.

ولعل من دواعى الدهشة أن يصبح هذا الجزء من العالم في فترة قصيرة حقلا زاخرا بالصناعات وان يستيقظ من سباته الطويل العميق بسرعة حتى أخذ انتاجه يكثر ويتسع وتحسنت طرق هذا الانتاج وادخلت عليها الالات الميكانيكية. فمصر بما لديها من ملايين العمال وفلسطين بخبرائها الفنيين وعمالها المدربين المهرة وايران بمواردها الغنية التى لم تكد تمس ، كل هذا من الاحتمالات القوية لترقية الصناعة. ونحن نرى الآن المعامل لا تقدم فقط حاجات السكان المدنيين من الاشياء التى كانت تستورد من الخارج عادة ، بل تلبى أيضا طلبات حربية بمقدار قد يصل الى حد بعيد كان غير مأمول أبدا قبل سنتين.

والواقع أن سياسة اقتصادية مرسومة أخذت في الظهور لتشغل مكان توزيع التجارة غير المبنى على أساس وتصدر الآن التعليمات وأعمال الاشراف من مجلس تموين الشرق الاوسط المؤلف من رجال جىء بأكثرهم من بريطانيا العظمى ولمعظمهم خبرة واسعة في شؤون الشرق الاوسط. والخطة الاولى التى تعمد اليها كل حكومة توافق على احداث طريقة للرقابة عـلى التصدير والتوريد ، هى البحوث الاقتصادية أولا. وقبل سنة طبقت الحكومة البريطانية وحدها رقابتها على جميع الصادرات أما هنا فقد اتفقت أقطار هـذا الشرق وشعوبه على اتباع طريقة الرخص وتحديد استهلاك كل حاجة اعتبرت غير ضرورية مهما كان نوعها وفرض نظام الحصص على المواد المطلوبة. وقد درس الفنيون والاقتصاديون لمجلس تموين الشرق الاوسط وضعية كل قطر ونصحوا وعاونوا موظفى الحكومات المحلية في تطبيق الرقابة وتحديد استعمال بعض المواد

ولم يشعر أحد بتأثير هذه الرقابة الا بالتدريج بينما كان الاستغلاليون والمحتكرون يخفون كميات وافرة من الحـاجيات وفي الغـالب يتطلب تطبيق الاوامر الصادر سابقا عدة أشهر للانتقال من مكان الى آخر

وعلى الرغم من أن نظام الرخص بدأ في مصر من شهر تشرين الثانى فان الشعب لم يدرك الا في شهر شباط ضرورة استبدال بعض عاداته في الشراء، والى الآن ما تزال المخازن في فلسطين وسوريا ومصر مكتظة ببضائع مختلفة الانواع ولولا ارتفاع الاسعار لما ظهر لنا الا القليل من الدلائل على وجود حرب قائمة.

وقدمت الاقطـار المعنية بالامر مسـاعدات جمة وتعاونت باخلاص فيما بينها حتى ليمكن الاشادة بموقفها واعتباره مثالا لجهود الديمقراطية . وليس من السهل تعيين ما يحتاج اليه السكان ، فهنالك عوامل يجب حسبانها مثل اختلاف فهم الاشياء والحوادث قبل الحرب عما هو عليه الآن وشروط الاقليم والعادات المحلية ومستوى المعيشة والبضائع التى يمكن الحصول عليها. ودخول اليابان الحرب قلب الاوضاع بالنسبة لاستهلاك الشاى والسكر وزيوت الطعام والكنين ، وفقد الصانع كثيرا من المواد الاولية مثل الكاوتشوك والتنك والخشب والزيوت الصناعية.

وقد درس مجلس التموين للشرق الاوسط جميع احتياجات أقطار هذا الشرق لمدة طويلة ، وعلى هذا الاساس وضع برنامجا للشحن شهرا بعد شهر يشتمل على تعيين ميناء التفريغ وكمية البضاعة ونوعها.

وتأتى بعد ذلك الخطوة الثانية وهى الاستفادة التامة من الموارد الطبيعية وقوة الرجال وفي هاتين الناحيتين بلغ مجلس التموين القمة في نجاحه وقد تقرر أثناء اجتماع عقد في بيروت تحويل المطاحن والمعاصر الفنية الى معامل لانتاج البضائع القطنية ، وظهر في اجتماع للخبراء الفنيين عقد بالقاهرة أن من الممكن البدء بصناعة الكرتون والورق والاصباغ ، وزيادة انتاج النسيج والجلود ، وتحدث الخبراء البريطانيون مع رجال الاعمال في بغداد وطهران ووضعت على الاثر البرامج لترقية صناعـة النحاس وغيرهـا من الصناعات المعدنية ، والصابون والاوانى الزجاجية والجلود والنسيج.

وتمتد خيوط شبكة المواصلات التى يمسك بها مجلس التموين الى جميع مرافىء الامم المتحدة في ارجاء العالم : الى نيويورك وسدنى وبومباى ولندن أما السفن التى تصل الى الشرق الاوسط فانها ترسل حسب توصيات مجلس التموين. ومن البديهى أن القوات المتحالفة في الشرق الاوسط تحتاج الى دبابات وذخائر وامدادات ولهذا لم يتم الاتفاق النهائى على برنامج الشحن الا بعد تعاون وثيق بين القيادة العامة ووزير الدولة ، وقد نشأت مشكلة الافضلية كشىء طبيعى فالحاجة ماسة الى المحاريث الآلية (تراكتورات) لتوسيع نطـاق الزراعة ، وكذلك الى الالات الحديثة اللازمة للصناعة ويجب كذلك أن توزع المواد الاولية حسب حاجات البضائع المنتجة ، وتلاقى الطلبات على الادوية الطبية والمعدات الضرورية للخدمات العامة مثل آلات النقل على الطرق وسكك الحديد اهتماما خاصا.

والسلطات البريطانية لا تهمل قط مصالح السكان المدنيين في هذا الجزء من العالم محتمية وراء القول بأن المهم في الدرجة الاولى هو المسائل العسكرية ، بل تتفاوض مع الحكومات المحلية لانشاء الصناعات وترقيتها وتوسيع نطاق الزراعة بحيث لا تصبح كافية طلبات المدنيين فقط ، بل تتعدى ذلك الى المساهمة بقسط كبير في تلبية طلبات الجيش وحاجاته.

لقد اجتازت الطرق بين أوروبا وآسيا جيوش لا عداد لها ، ولكن ما أعظم الفرق بـين الماضى والحاضر ، فالحرب السابقة كانت تسبب النهب والسلب والتخريب والمجاعة ، وكانت الارض التى تمر بها الجيوش تفقد مواردها الغذائية وتقطع أشجارها ويخيم عليها البؤس والشقاء ، أما اليوم فان الاراضى التى تمر بها الجيوش لا تربح فقط سلسلة من الطرق المعبدة والخطوط الحديدية التى يمدها الجنود ، بل جاءتها الحرب بعهد جديد من التقدم والازدهار.

ولعل فلسطين أفضل مثال لهذا التقدم في الوقت الحاضر ، فهى أول من طبق نظام الرخص والرقابة قبل عشرين سنة مستهلة العمل دون أن يكون لديها





صورتـان عن أعمال مراقبة المؤن في فلسـطين . ونرى هنا مخزن الشعير الكبير في بئر السبع وله بابان تدخل من الباب الاول أكياس الفائض من محصول القمح والشعير الذى اشترته الحكومة من القبائل المجاورة . ومن الباب الثانى نرى سيارات الشحن التابعة لمراقبة المؤن تنقل هذه الاكياس الى المراكز التى تحتاج اليها في فلسطين .



شيء تقريبا ووصلت الى درجة من رقى الصناعة لم يصل اليها قطر آخر في الشرق الاوسط ولكن السنة الاولى من الحرب كانت سنة قلق وتأخر في الصناعة وكانت صناعة هذه البلاد مؤلفة في الدرجة الاولى من معامل صغيرة لا تصلح لتلبية طلبات ذات قيمة وكانت الطلبات التى قدمتها السلطات العسكرية في تلك الفترة مقصورة على أشياء مستعجلة من البضائع المخصصة ولكن المندوب السامى عين في شباط سنة ١٩٤١ مجلس التموين الحربى فأخذ يعمل بتعـاون وثيق مع الهيئة التجارية في بريطانيا ثم مع مجلس تموين الشرق الاوسط.

وقد طبقت الرقابة في فلسطين من أمد بعيد حتى وصلت الى النتائج الحـاضرة ، وانشئت صناعـات جديدة ووسعت الصناعات القائمة وأدمجت معامل صغيرة بعضها ببعض.

وليس الوصول الى هذه النتيجة العظيمة بالامر البسيط في بلد صغير كفلسطين وهذه النتيجة خير دلالة على الازدهار الذى ستبلغه في المستقبل.

وستمضى فلسطين في ازدهارها قدما الى الامام بفضل تدابير مجلس تموين الشرق الاوسط المؤدية الى تزويدها بالمواد الاولية الوافرة وبتصدير انتاجها الى أقطار الشرق ، والى الجنود ، وكثرة رؤوس الاموال الموجودة فيها ووفرة الفنيين والخبراء الذين يشرفون على كل ناحية من شؤونها.

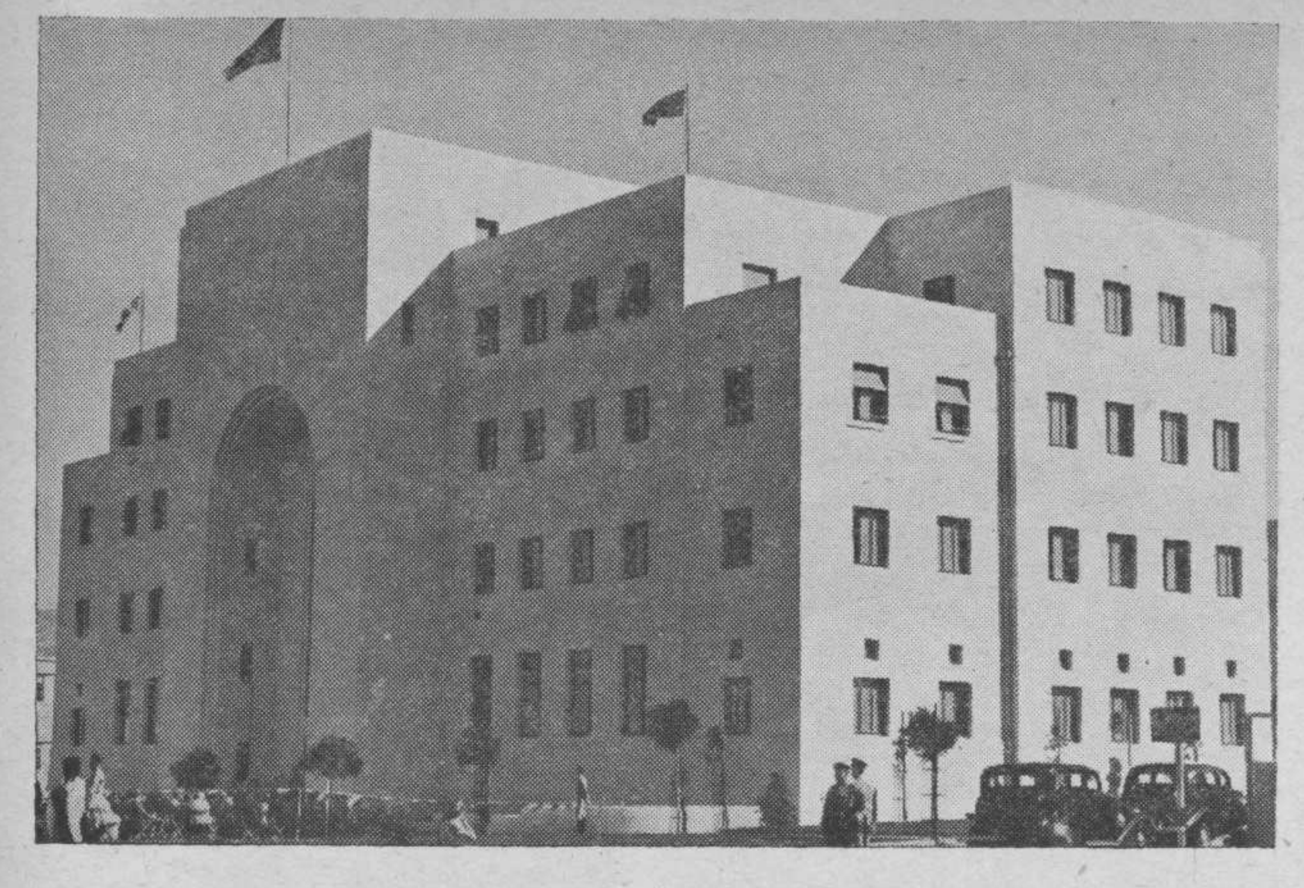
وتسير الصناعة جنبا الى جنب في تقدمهـا مع الزراعة ، وقد أتت الارض محصولا عظيما من الحبوب وتضاعف محصول العنب والتين والزيتون ووزعت الحكومة بتوصية من مجلس التموين الحربى قروضا مالية على المزارعين وقدمت البذار الصالح والدواجن بثمن بخس. وهذه أول مرة يشعر كل انسان في فلسطين أن المشروع الذى يقـوم به تقف وراءه الحكومة لتساعده وتشجعه على النجاح فيه.

سيزاد حجم «هنا القدس» في المستقبل حتى يبلـغ أربعـا وعشرين صفحـة ، وسندخل عليها أبوابا جديـدة مثـل القصص والحزازير . والمقالات التى تهم الطلاب، ومقالات عن الطبخ، ونصائح في تدبير المنزل ، وسنضيف اليها أنواعا جديدة من الصور علاوة على أبوابهـا وموضوعاتها وصورها الحالية. وستصدر هذه المجلة في المستقبل في اليوم الخامس عشر من كل شهر .

الزراعة العربية في فلسطين

للسنة الثالثة من سنى الحرب

ان تعدد الاحوال الاقتصادية وتنوعها تنوعا غريبا في بلاد صغيرة كفلسطين ، هو ظاهرة غريبة جدا من ظواهر بلادنا هذه ، لقد انقضى الوقت الذى كان في استطاعة المرء أن يشترى فيه بمجيدى واحد ، ما قيمته ثلاثة وعشرون قرشا في القدس وستة وعشرون في يافا وستة وأربعون قرشا أو أكثر في غزة حسب ما ورد في أدلة المسافر التى يرجع تاريخها الى عام ١٩١٠ ، ولكن الحياة لا تزال تختلف حتى في هذه الايام في كثير من الالوية من عدة وجوه ، ومن المفيد المقارنة بينها ، فان بحث التطور الذى طرأ على الزراعة أثناء الحرب، وتحليله يدل على وجود زيادة تتراوح بين الصفر والمئة في المئة.



عمارة البلدية الجديدة في حيفا .

واذا ما بدأنا بعاصمة البلاد ، واجهتنا حقيقة غريبة هى أن الاراضى الزراعية في قضاء القدس ، لم تزد على ما كانت عليه زيادة تذكر ، ولكن الارض كانت تستغل دائما استغلالا طيبا بفضل رواج السوق وملائمة أحوال البيع والشراء . هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرى ، فان الحاصلات زادت بنسبة خمسة وعشرين في المئة على أقل تقدير ، بسبب جودة فصل الامطار ، وجودة نوع البذار ، وتحسن وسائل الرى.

وهكذا فان هذه الاسباب نفسها هى التى جعلت قضاء القدس في ذيل القائمة من حيث زيادة مساحة الاراضى الزراعية ، الا أن قضاء أريحا المجاور يحتل رأس القائمة من هذه الناحية ، فان مساحة الاراضى الزراعية فيه ، أصبحت في خلال السنوات القليلة الماضية ، ضعفى ما كانت عليه أو أكثر ، وقد أنشئت حول العوجا الى الشمال من أريحا ، واحة جديدة مترامية الاطراف، كما أن وادى الاردن، يمد أسواق القدس بالبندورة والخيار ، مدة شهرين أو ثلاثة أشهر من السنة.

ويمكن أن يلاحظ مثل هذا الاختلاف في لواء الجليل الواسع ، حيث تتباين التربة تباينا كبيرا في المناطق المختلفة ، ففى بعض المناطق زادت نسبة الاراضى المفلوحة ثمانين في المئة ، بينما لم يطرأ تغيير يذكر على الحالة في المناطق الاخرى ، مما يجعل نسبة الزيادة بصفة عامة خمسة عشر في المئة تقريبا.

ولعل القسم الشرقى من لواء غزة ، هو القسم الذى طرأت على حياة سكانه تغييرات مهمة جدا ، ولا يستبعد أن يعتبر عام ١٩٤٢ ، فيما بعد ، بأنه نقطة التحول في حياة البدو الذين يقطنون حول بئر السبع ، فان هؤلاء البدو لا يزالون حتى الآن يفلحون أراضيهم حسب الامطار المبكرة فاذا كانت هذه الامطار مرضية زادوا كمية البذار . واذا كانت قليلة أو قريبة من الكفاية فأنهم لا يجازفون بزيادة البذار والعادة المتبعة عند البدو هى أن تجعل القبيلة حاصلات الموسم الجيد تكفى لسد حاجتها مدة خمس أو ست سنوات وقد كانت نتيجة ذلك أن أصبح البدو مدينين بأموال طائلة لتجار بئر السبع .

وكان القسم الاكبر من التجارة يجرى على قاعدة المقايضة ولم يكن حتى البذار يرد في السنوات المحل ، وقد زود البدو في هذه السنة بنوع جيد مختبر من البذار واستطاعوا بفضل القرض الزراعى الذى أقرضتهم اياه الحكومة أن يوفوا الديون الملحة عليهم وسيتسلم البدو في الخريف للمرة الاولى أموالا نقدية ثمنا لحاصلاتهم من عملاء الشراء الذين عينتهم الحكومة وهكذا يتسنى لهم أن يشتروا ما يحتاجون اليه دون الاستعانة بأحد .

وهكذا فانه سيجرى الانتقال من طريقة المقايضة الى طريقة الاتجار بالاموال ، في منطقة ظلت ظروف الحياة فيها فطرية من عدة وجوه . واذا ذكرنا أن الانظمة الجديدة المتعلقة بالغزو قيدت الى حد كبير بعض عادات العصور الوسطى وحلّت من طبائع الحياة في البادية رأينا أن عام ١٩٤٢ هو فاتحة حقبة جديدة في أقصى القسم الجنوبى من البلاد .

ولم تتوفر حتى الآن احصاءات للزيادة الكبيرة التى طرأت على حقول الشعير في قضاء غزة ولكن نصيب غزة في موسم هذا العام من الحنطة سيكون ثلاثين في المئة أكثر من العام الماضى ، ولم تهمل زراعة الاثمار الحمضية في قضاء غزة الى الحد الذى أهملت به في لواء اللد المجاور ولعل السبب في ذلك يرجع الى أن البيارات حول غزة قد غرس معظمها بعد عام ١٩٣٥ ، ولا يتوقع بعد أن تغل كثيرا ثم أن زراعة الخضر في (شفيلة) لم تتقدم كثيرا بسبب بعد الاسواق الرئيسية وبسبب ارتفاع أجور العمال الزراعيين ارتفاعا كبيرا مع أن هذه المنطقة تمد البلاد كلها بالبطيخ .

واللواءان اللذان يلاحظ مدى التقدم العظيم فيهما هما لواء حيفا ولواء اللد بصفة خاصة . فان الزيادة التى طرأت على الانتاج الزراعى فيهما تقدر حتى مع الاقتصاد بالتقدير ، بأربعين وستين في المئة. فان البطاطا والخضر والعلف والقمح الاسترالى قد حلت الى حد كبير محل زراعة الاثمار الحمضية والاراضى البور . وقد استعيض استعاضة تامة عما كانت تستورده البلاد من سوريا .

ومدى تقدم الزراعة عند العرب واليهود في لوائى حيفا واللد يسير على خطوط متوازية ، أما في الالوية الثلاثة الاخرى فان تقدم الزراعة عند العرب قد تأثر بالاحوال المحلية تأثرا أكثر وضوحا من تأثر الزراعة عند اليهود . ولكن التقدم ظاهر في كل مكان ، أما من حيث نشاط الزراعة أو من حيث زيادة الاراضى المفلوحة فقد قطعت الزراعة العربية شوطا كبيرا من النجاح والتقدم في وقت أقصر مما كان يؤمل لها أن تقطعه بعد أحقاب من التدريب والتعليم الزراعى .

المرأة العربية والجندية

للآنسة مريم زعرور

ان مجرد ذكرى المرأة العربية والجندية ، ليدعو الى العجب والدهش عند كثيرين منكم كما أعتقد. واذا ما خطوت خطوة أخرى في الكلام ، وسألتكم هل الجندية مناسبة للمرأة العربية ، رأيت بعضكم قال (نعم) وبعضكم الآخر قال (لا). وانى على يقين أنه اذا كانت الجندية لها فضائلها المسلم بها ، ولها فوائدها المحسوسة ، فليس معنى هذا انى أدعو كل امرأة عربية الى الجندية ، بل انما أدعوها على الاجمال. هذا جوابي الى الذين يقولون (لا). وأما الذين يقولون (نعم). فنعم ما يقولون ، وما أحسن ما يفعلون. فهذه يدى تصافح أيديهم. وهذا قلبي يرتبط بقلوبهم ، ولكن لى كلة أود أن أبسطها في هذا المجال المتعلق بالمرأة العربية والجندية. وانى أعتقد أن مستمعى الكرام ، لا يضنون عليّ بحسن الاستماع ، بضع دقائق في هذا السبيل ، وانى لهم شاكرة كل الشكر ، فانى عربية أكلم العربيات بنات جنسى واخواتى ، وانى واياهن نشرب من نبع واحد ، ونستظل سماء واحدة ، وننتمى الى أمة واحدة ، لنا ماض واحد وأمامنا مستقبل واحد.

لا ريب أن هذه الحرب ، فوق كونها حربا عالمية، بأوسع حدود المعنى لهذه الكلمة ، وعلى نتيجتها يتوقف مصير العالم بجملته الى الحرية ، كما نبغى ان شاء الله ، أو الى العبودية التوتونية الالمانية ، لا سمح الله ، فان هذه الحرب قد أحدثت حتى الآن ، تغييرا عظيما في الافكار والمبادىء والعقائد الاجتماعية ، فأصاب المرأة من هذا نصيب كبير. فما كاد ينقضى على وقوع الحرب سوى بضعة أشهر حتى رأينا المرأة تتجند في بريطانيا وتقوم بخدمات نحو بنيها الصغار ، ونحو زوجها المقاتل ، ونحو الجريح في ساحة القتال ، وقف عندها العالم معجبا كل الاعجاب. ومثل هذا فعلت المرأة الروسية. ومثل هذا تفعل اليوم المرأة الاميركية. ومثل هذا تفعل المرأة الصينية. ومثل هذا فعلت المرأة العربية في الزمن الاول. فالى أى صوب بعثنا بنظرنا وجدنا المرأة أخت الرجل في المواقف الحاسمة.

ولاول مرة في تاريخ الرجل وزوجته ، والاخت وأخيها ، والابنة وأبيها ، نرى المرأة شقيقة الرجل حقا. فاسمحوا لى أن أقف هنيهة في هذا الموضع لاحيي ، هذه المرأة الكريمة المدبرة ، الباسلة الشجاعة، الجريئة المقدامة ، وهى تسجل في صفحات تاريخها أنها وطنية بكل معنى الكلمة ، وهى رفيقة الرجل في السراء والضراء والشدة والرخاء، في هذه العصور وسالف الدهور.

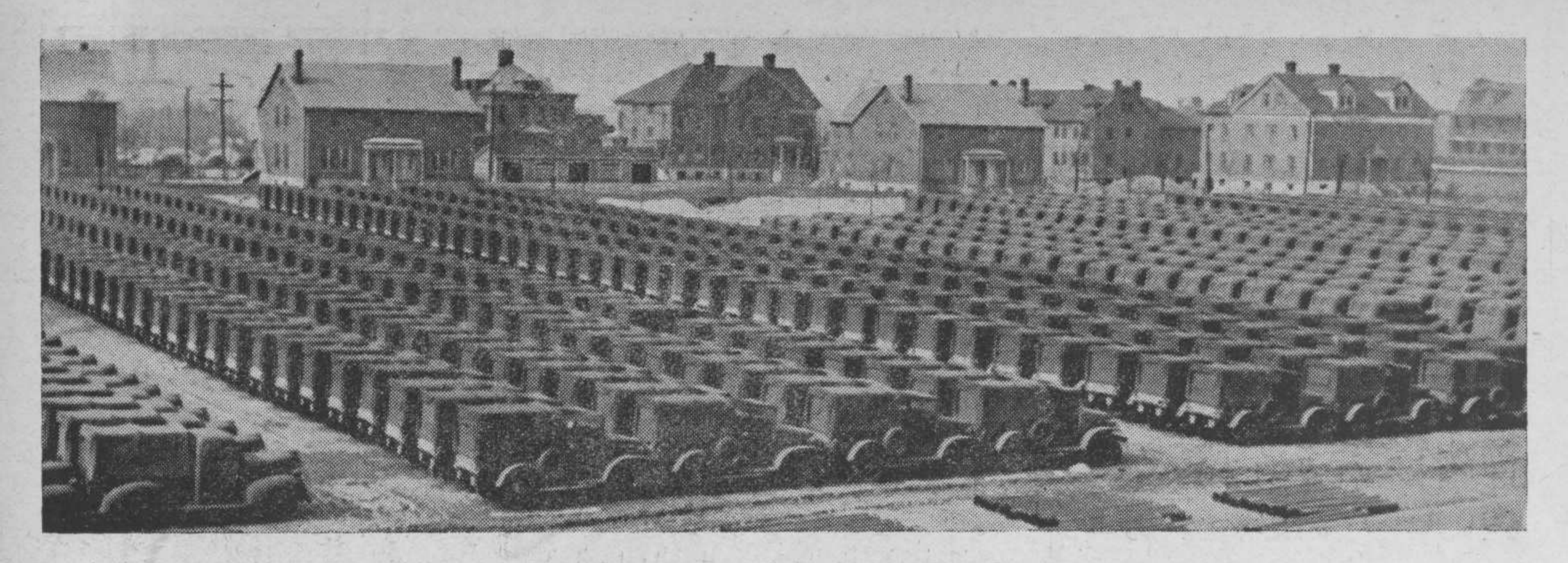
بعد ذلك يحق لى أن أوجه سؤالا الى اخواتى العربيات. هل تعتقدن أيتها الاخوات أن الامة العربية لم يشتمل تاريخها الماضى على صفحات منيرة ، تدل على أن المرأة العربية الاولى كانت الى جانب الرجل في جميع المواقف في العصور الاولى. والجواب نعم ، وهذا التاريخ العربي الذهبي الصفحات يشهد بأن المرأة العربية ، في أزهى عصورها كانت شريكة العربى لا في السياسة والادب ، والعلم والمعرفة ، تحت سقوف المنازل ، وفي ظلال الحدائق والبساتين ، في المدن الآمنة ، والعواصم المطمئنة ، بل كانت أيضا شريكة ورفيقة في ميادين القتال ، ويوم يشتد النضال وتقع النصال على النصال ، وهى من ورائه تشد أزره ، تبعث بنداء الحرب الى المقاتلين ، وتسقى الماء اخوانها الجنود المستبسلين ، وتضمد جراح المصابين ، وتسعف كل جريح وما اسعاف الجريح ، وتقديم الماء الى الجريح في ساحة الوغى الا جزءا عظيما من الحرب.

وقد اتفقت الامم قديما وحديثا على أن الجندية هى أشرف رتبة ، يصل اليها الانسان ، مفتخرا معتزا. لان الجندية هى بحقيقتها نظام جامع لفضائل شتى ، تتناول النفس والخلق ، والهمة والعزيمة. ولكن متى ما كانت الجندية منبعثة عن عقيدة صحيحة متينة ، من حيث أنها خدمة للوطن ، وعون في سبيل القضاء على الشر ، فهى بهذا المعنى ، الشرف أسمى الشرف والفخر أسمى الفخر ، والى هذا أدعو كل عربية حرة الفكر ، تستطيع أن تتحرر من قيود التفكير الذى لا يكون مبنيا على النهج القويم. واذا ما كانت المرأة العربية تريد حقا أن تكون حرة في وطنها في المستقبل، وواقفة على السبل الحديثة التى تبلغ بالمرأة الحديثة الى المستوى الجديد ، فعليها أن تأخذ بفضائل الجندية دون خوف أو وجل.

انى أعلم علم اليقين أن لمئات الفتيات والنساء في فلسطين ، رأيا كرأيي هذا ، ولكنهن مثقلات بقيود البيئة القديمة ، فلا يستطعن التحرر من تلك القيود. ولكن اذا حق للمرأة الحديثة أن تطلب السعادة ، فهذه السعادة لن تنزل من السماء عفوا. ولن تنبتها الارض نباتا ، ولن يأتى بها الينا أحد من الخارج فنشتريها شراء ، وانما هى فضيلة يجب أن تمارس وتحصل كما يحصل الانسان كل فضائله في هذه الدنيا. وقد صقلت هذه الحرب الفضيلة الجندية ، جندية المرأة ، حتى جعلتها تتألق كالدرر المعلقة على الابراج العالية ، لا يصل اليها الا من سمت همته ، وخلصت نفسه من نوازع الضعف والخمول وحمل بين جنبيه قلبا جعله الايمان مبعث القوة وجعل صاحبه يطلب الفضيلة بالتضحية ، والتضحية هى من وراء الايمان والعقيدة.



صورتان عن حفلة الالعاب التى أقامتها المدارس الاميرية بقضاء جنين.



ثلاث صور عن المقدرة الصناعية الهائلة في أميركا التى انصرفت بكليتها الى انتاج المعدات الحربية . ففي الصورة العليا عدد ضخم من السيارات التابعة للجيش الاميركي ، وفي الصورة السفلى واحد من مئة مصنع للطائرات التى تبنى الطائرات للحلفاء ، وفي الصفحة المقابلة منظر من داخل مصنع ينتج المدافع.



«الضحك»

دراسة في علم النفس

للاستاذ على كمال

اذا نظرنا الى الحيوانات واحدا واحدا لم نجد في وجهها ما يستدل منه على أنها تفكر في أمر من أمور الحياة، او انها تحمل هما من التى ينوء بعبئها الانسان. فالبقرة مثلا تنظر الى الحياة نظرة بليدة تشف عن القناعة والرضى. والفيل وان كان يخزن في جسمه الضخم قدرا عظيما من الغيظ والحنق الا أن تمايل هذا الجسم الضخم يبدد ما قد يدور في رأسه من التأمل والتفكر.

على أن حيوانا واحدا بينه وبين الانسان صلة قد تقرب فتصبح تفرعا ، وقد تبعد فتصبح نسبا ، وهى في الحالين صلة وثيقة لا تنكر . هذا الحيوان أو الانسان الاول كما يجب أن نسميه هو القرد الذى ننظر اليه فنلمح الحزن تفيض به عيناه . والالم يمضه ، وهو الذى يجلس فيعتمد رأسه بيده . أو يزيد على الانسان فيعتمد رأسه بكفيه وقدميه معا .

واذ نرى من تربطه بالانسان صلة القرابة والنسب، يعز علينا أن نمر به فلا نسأله عن أمره شيئا. غير أنه لا ينطق الا في (كليلة ودمنة). ومما لا شك فيه أنه غاب عن ابن المقفع وأساتذته من أهل فارس والهند الاستفسار عن سبب حزن هذه الشخصية الفذة وتأملها المؤلم.

لكنّ علم النفس الحديث قد يخبر شيئا عما يدور في عقل القرد من تصرفاته وان كانت صامتة . ولو طبقنا هذا العلم وأساليبه في البحث لدراسة القرد دراسة وافية لوجدنا ما يوصلنا الى ازاحة الستر عن سره الغامض ولتمكنا من انتزاع الحقيقة التاريخية التى قد لا يدركها الفرد الحديث الا بالغريزة.

يرى بعضهم بأن القرد في أول الخليقة أو في حلقة منها قد نظر الى وجهه في الماء صدفة فلم يعجبه ما رأى ونظر حوله علّه يجد من يحمل ذلك الوجه فلم يجد غير نفسه. تألم لذلك لانه على الاقل لم يجد توافقا بين المرتبة العقلية التى يتمتع بها بين سائر الحيوان وبين حالة وجهه . فدفعته هذه الحقيقة المرة الى التفكر في أمر نفسه وأمر الخليقة حوله. وكأني به قد غضب على السماء التى خلقته على صورته وشكله ، وعلى الارض التى أظهرت له وجهه منعكسا في الماء فقرر لذلك احتجاجا أن يعيش على قمم الاشجار بين الارض والسماء . ومما لا شك فيه أن الذى يقضى حياته حزينا كئيبا ، يفكر طوال الوقت ، لابد وأن يخلق لنفسه فلسفة خاصة في الحياة تعينه على فهم نفسه وفهم الحياة. واذا قدر للقرد يوما أن يظهر للملاء نتاج الحقبة الطويلة التى اشتغل فيها فيلسوفا معتزلا الارض والسماء فلا شك بأنها ستكون فلسفة رائعة تكسبه قصب السبق على زميله الانسان.

ويرى بعضهم بأن القرد في حياته الخاصة مرح طرب ضاحك على أنه عندما يبصر بالانسان فيراه جادا حازما في غير نكتة أو مرح يؤلمه ذلك ويحزنه، كيف لا وهو يجد في أقدميته على الانسان ما يبرر اهتمامه بشأنه والتألم لمصابه.



واذا تركنا القرد صاعدين أو نازلين كما تقتضى الحال نصل الى الانسان ذلك الحيوان الضاحك ، ولا يحق لنا أن نصف الانسان بأكثر من ذلك كأن نقول (الحيوان المفكر) أو (الحيوان الذكى) ذلك أن مقاييس الفكر والذكاء التى وضعها الانسان نفسه تقرر بأن منتهى الذكاء والفكر هو القدرة على تكييف الانسان للمحيط الذى يعيش فيه. وما دمنا نقر بأن الانسان لم يفلح بمفرده أو بمجموعه في الوصول الى ذلك ، فان الكثير من الحيوانات حتى من أصغرها كالنمل قد تتوصل الى ما قصر عنه الانسان وزاد عليه بأن كيف نفسه لنفسه

وعلى هذا اذا حاولنا تفسيرا لخاصة الضحك التى انفرد بها الانسان ، لما كان بامكاننا أن نقر له بفضل اختراعها ، والغالب أنها أوجدت فيه لتتلطف عنه حدة الغيظ الذى قد يتولد في رأسه اذ يفكر في نفسه. ولعلها تكون اقرارا منه صريحا في غير حياء بحدوده ونقصه ، واذا كانت هذه هى الحقيقة فلا شك أننا نرتفع فنستوى مع القرد ، فهو عابس لا يضحك يحزن على نعمة من الجمال حرمها ، والانسان فكه يضحك لاقراره بعجزه عن الوصول الى غاية من الكمال في فكره حرمها ، فالانسان على ذلك يقر فيضحك والقرد يحزن بغير اقرار ، والاقرار بالشيء فضيلة. وهكذا فالانسان فاضل على الاقل بالنسبة للقرد.

غير أن طائفة من الناس قد حرمت خاصة الضحك وآثرت العبوس دائما واستسلمت الى حالة من الجد والحزن والكآبة. وما دام (دارون) ومن خلفه لا يزالون يبحثون عن الحلقة المفقودة بين الانسان والقرد ، فانا نقدم اليهم هذه الطائفة ، فهى تحن الى أصلها الاول ، ويعز عليها أن تكون كهذا الانسان الضاحك الذى يقر بنقصه وهى تدعى الكمال

واذا سمح لنا المستمعون أن نستعرض طائفة من الذين لا يضحكون لوجدنا هم على فئات. فمنهم الفتاة التى لا تضحك لان القدر حتّم عليها أن تولد في مكان فيه مرآه. والغلطة لا شك عظيمة ، لا يكفر عنها شيء.

والطبيعة لا تبخل بترضية عظيمة على من حرم الجمال. ذلك أن (كارل) يرى في كتابه (الانسان ذلك المجهول) بأن الجمال حالة فكرية. ويسأل مدرس في كلية للاناث مرة عن العلاقة بين الجمال والذكاء فيجيب «لم يجتمع عندى أذكى فتاة وأجمل فتاة ولم يجتمع عكس ذلك. وعلى هذا يكون الجمال جناية على الفكر ، والفكر جناية على الجمال. والجمال بينهما كالجمع بين الماء والنار على حد قول المتنبي وللعازب الخيار في أن يموت غرقا أو يموت حرقا .

على ان ما يسترعى انتباهنا طائفة كبيرة من الناس لم تحرم نعمة الجمال ومع ذلك تصر على أن لا تضحك واذا كان هنالك ما يشغل هذه الطائفة عن الضحك فهنالك ما يدعو الى القلق على مصيرهم والتفكر في أمرهم محافظة منا على الجنس البشرى من الخضوع ثانية الى قانون الوراثة .

هذه الطائفة من الناس تتصور بأن العالم سيقف عن الدوران وسيختل نظام الكون عندما يسحبون طوعا أو كرها أوراق اعتمادهم من هذه الدنيا . وما كنا لنكلف أنفسنا مؤونة النظر في أمرهم لو لم يكن لفقدان خاصة الضحك فيهم من أثر كبير على مستقبل الانسان.

يروى (يوتانج) الكاتب الصينى الشهير في كتابه (أهمية الحياة) بأن الامبراطور غليوم قد خسر الحرب الماضية لانه لم يعرف كيف يضحك ، أو على الاقل انه لم يعرف كيف يضحك في الوقت المناسب ، والدكتاتور اليوم لا يضحك مهما كان الداعى لاثارة الضحك لاعتقاده بأن الضحك يقلل من هيبة الحكم ، لهذا تجده كل يوم في حياته عبوسا قمطريرا.

واذا كان هنالك أفراد لا تضحك فان هنالك شعوبا لا تضحك أيضا وبعبارة أدق ان روح الفكاهة والنكتة فيها لا تكوّن خاصة من خواص الحياة فيها. لهذا يرى (يوتانج) بأن المشاكل السياسية التى أصابت ألمانيا واليابان في تاريخهما وتصيبهما في حاضرهما انما هى نتيجة لازمة لفقدان روح النكتة والفكاهة في هذين الشعبين.

ان الانسان حالم. وأحلامه ان لم تجد ما يضبطها ذهبت به مذاهب شتى ودفعته الى سلوك الوعر من الطرق وزينت له في الخيال ما لا يمكن تحقيقه في الواقع . وأحلام الافراد كأحلام الشعوب اما أن ترمى الى غاية سامية تسعد الانسان واما ان ترمى الى القوة والتسلط، وفي تحقيق هذه الاحلام اما الخير واما الشر بحسب حظ كل من القوة والقدرة على تحقيق حلمه . ولا ضابط لهذه الاحلام غير الضحك من هذه الاحلام نفسها ، فهى الثقالة التى تشد الانسان الى حياة الواقع كلما شط به المزار وارتقى الشجرة كسلفه القرد .

وليتصور معى السامع مجتمعا لا يضحك الناس فيه ، مقاما بين الماء والسماء ، وهو شجرة فروعها دانية يقفز منها الانسان تاريخه حلقة حلقة ، حتى يطل على بركة من الماء يرى فيها وجهه فيرتدّ الى نفسه معترلا — فيلسوفا كالقرد — ، أو — قردا فيلسوفا — .

حل موسم العنب

فكيف نستطيع الاستفادة منه

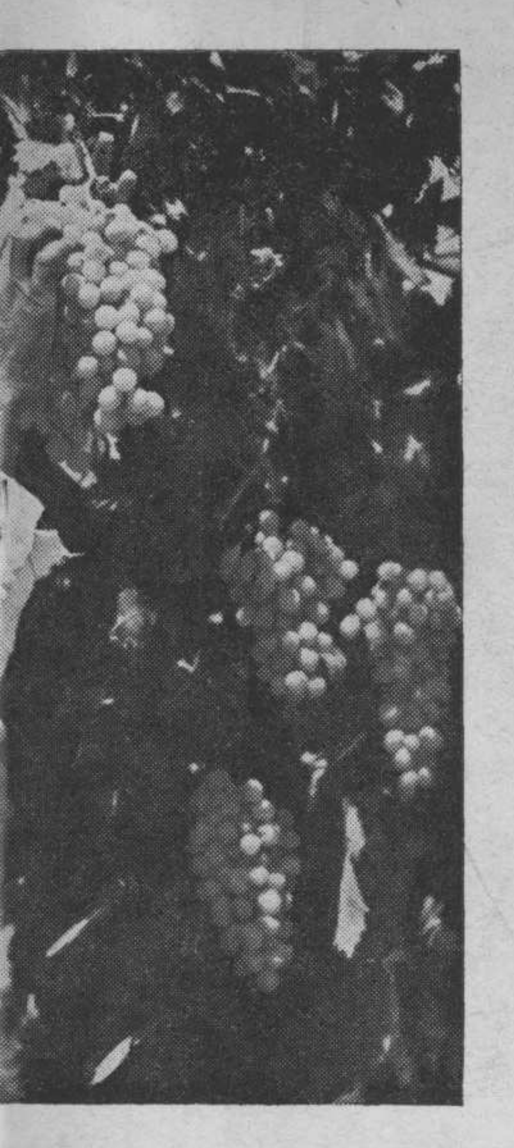
من واجبنا في فلسطين أن نحمد الله تعالى على آلائه ونعمه ، فقد حل موسم قطاف العنب بعد أن انتهى موسم الاثمار الحمضية . وسيكون محصول السنة الحالية أكبر محصول عرفناه من قبل عصور واجيال ، والواقع أنه أكثر من محصول العام المنصرم بنسبة ثلاثين في المئة ، في حين أن المحصول السابق بلغ ٤٧ ألف طن وقدر ثمنه بنصف مليون جنيه .

يصل الينا العنب من الجبال والسهول ، من الاراضي الساحلية والداخلية على السواء ومن حسن الحظ أن يكون العنب في متناول أيدينا ، بفضل اختلاف طبيعة الارض والاقليم ، من نهاية شهر أيار الى اول شهر كانون الاول وتنتج بواكير الموسم في وادي الاردن المنخفض . وقد أدخلت زراعة نوعين من العنب هما «لؤلوءة سبا» و «ملكة الكروم» في اريحا وبيسان وطبريا قبل خمس أو ست سنوات وظهر محصولهما هذه السنة في الاسواق بكميات كبيرة لاول مرة . وهذان النوعان استوردهما قسم البساتين في ادارة الزراعة من هنغاريا .

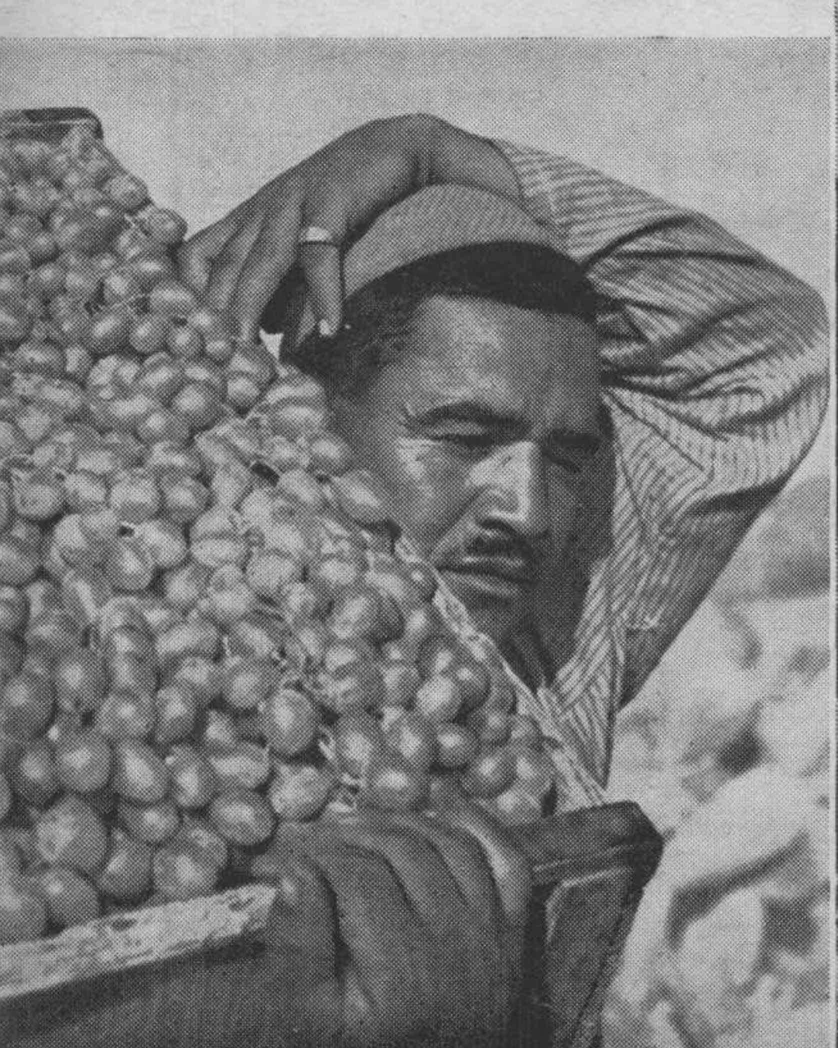
وبعد وادي الاردن تظهر محصولات غزة ثم محصولات مرج ابن عامر والمناطق الساحلية وبعدها محصولات أراضي الهضاب بقرب الخليل والقدس وفي النهاية محصولات رام الله .

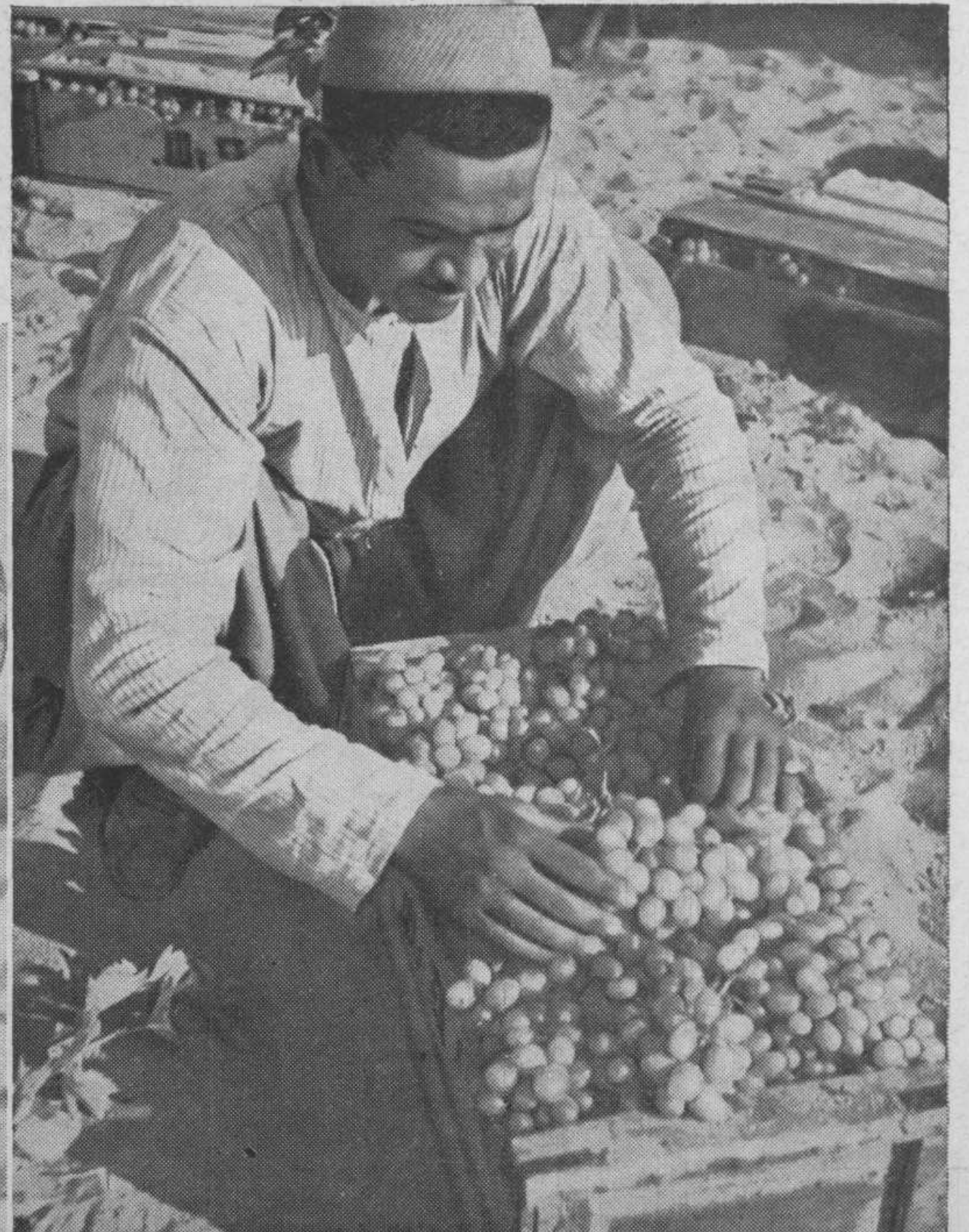
وجدت الكرمة في فلسطين من زمن ممعن في القدم، ولكن ادارة الزراعة لم تباشر العمل الا منذ عقدين من السنين وكانت الكروم مغروسة في مناطق جبلية محدودة وكان الموسم قصيرا والمحصول قليلا والحشرات المتنوعة والامراض المختلفة تهاجم الكروم . وكان الكثير من العنب يتعفن قبل نقله الى الاسواق .

وجلبت الحكومة أصنافا عدة من العنب فامتد أجل الموسم وادخلت عدة طرق للوقاية من الحشرات التى





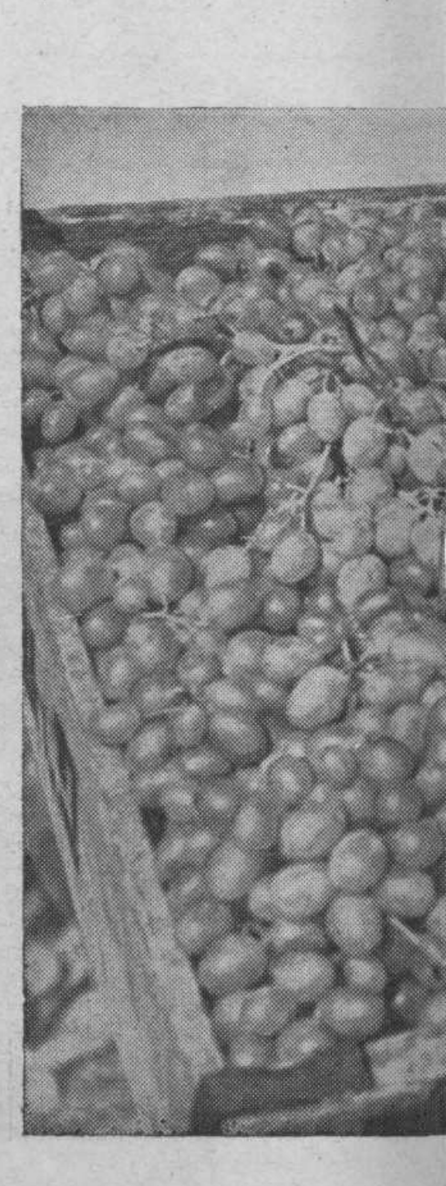








...سم العنب لعام ١٩٤٢



تفتك في المحصول وفي الغالب كان يكتفى بتبخير الكروم بالمواد الكيماوية وقد طعمت أنواع جديدة بعروق اغراس ذات مناعة ضد أمراض عديدة ، وتقوم مشاتل الحكومة ومحطات التجارب الزراعية بالعناية بهـا وتنميتها وبيعها للفلاحين بسعر أقل من تكاليفها .

ويستدعى المزارعون الى الامـاكن المختلفة التى تجرى فيها التجارب حيث يرون الفـوارق بين الغرسات المعرشة فوق الارض غير المعتنى بها وبين شبيهاتهـا التى تتبع في رعايتها الطرق الفنية ومن الامور البديهية أن هذه الطرق الزراعية الحديثة يمكن أن ترفع مقدار محصول الدونم الواحد من ثلث طن الى طن ونصف طن أو الى طنين اثنين . ومن الممكن أن تعيش الغرسة ثلاثين سنة ، ولهذا سيؤدى انتشار زراعـة الكـروم واتبـاع الاساليب الفنية الصحيحـة الى احداث تـأثير مهم في حياة البلاد الاقتصادية . وتمهيد سفوح الجبال لغرسها بالكروم سينقص مساحة الاراضى البور ويحول دون انجراف التربة .

كانت مساحة الاراضى المزروعة كروما في موسم ١٩٤٠—٤١ تبلغ ١٧١،٠٠٠ دونم منهـا ٨٥ المئة مثمرة و١٥ في المئة ما تزال صغيرة . ويملك الفلاحون العرب بين ٧٥ و٨٠ في المئة من مجموع الكروم وما بقى تملكه المستعمرات اليهودية . ويرجع الفضل في جودة محصول هذه السنة بصورة نادرة جدا ، الى هطول أمطار غزيرة في المناطق الجبلية واشتداد البرد في الشتاء مما أضعف تأثير الحشرات . ولاول مرة في التاريخ يحتمل أن يزيد محصول العنب في فلسطين عن حاجة السكان وهذا يدعو الى الرغبة ـ وفي أيام الحرب الى المسؤولية في الاستفادة من العنب في عدة اوجه مثل العصير والزبيب والمربى وعسل العنب والزبدة وغير ذلك ، وكل واحد من هذه الانواع لذيذ الطعم حلو المذاق يخفف من الضائقة

التى نعانيها من جراء قلة السكر .

ومن السهل تحويل العنب الى زبيب وذلك باختيار القطوف الناضجة ووضعها حالا على سطح مستو نظيف بعيدة عن غبار الطريق ، وتركها حتى تجف تحت أشعة الشمس . وبعد ثلاثة أيام يجب قلب القطوف وتركها حيث هى ثلاثة أيام أخرى . وتنتهى عملية تحويل العنب الى زبيب عند هز العنقود وسقوط حبات العنب الجافة (الزبيب) منه . واذا أضيفت الى هذه العملية عملية أخرى يمكن الحصول على لون أجمل للزبيب وهى أن يوضع العنب بعد القطف في ماء أضيف اليه رماد الخشب المحروق .

وبعد أن تتفلق قشور حبات العنب ، يغسل العنب بماء نظيف عذب ويترك حتى يجف ، ولكن العنب في هذه الحالة يحتاج للتعرض للشمس مدة أربعة أيام فقط بدل ستة أيام .

أنتجت مدينة السلط في شرق الاردن آلاف الاطنان من الزبيب خلال السنوات الاخيرة بيعت جميعها في أسواق فلسطين ومصر وسوريا . وقد زاد الاقبال على زراعة العنب زيادة عظيمة على الضفة الاخرى لنهر الاردن ، وتمتد كروم العنب اليوم على طول منطقة عجلون .

أما عصير العنب فهو شراب مألوف في أميركا ، وله دعاية طيبة . ولا شك أن سكان المدن هنا سيتمكنون من الحصول عليه قريبا جدا في المقاهى ، أما ربة البيت في الريف فيمكنها أن تقدم لافراد عائلتها هذا الشراب المغذى المنعش بهرس العنب وعصره ثم تصفية العصير . ويمكن تعبئة العصير في الزجاجات وخزنها للمستقبل . وبعد أن تغلق الزجاجات توضع في وعاء ماء مبطوحة على جوانبها على أن تكون تحتها قطعة قماش أو خشب .

وتجرى عملية التعقيم بوضع زجاجات العصير في ماء ساخن حرارته ٨٣ درجة مدة عشرين دقيقة (درجة الغليان ١٠٠) غير أنه لا يحبذ رفع درجة الحرارة الى مائة خشية أن يفقد العصير شيئا من نكهته وطعمه . وتعمل المصانع المحلية في انتاج عصير العنب في هذا العام .

أما شراب العنب المعروف بالدبس فهو من المواد المهمة في زمن الحرب ، وذلك لامكان استعماله بدل السكر في صنع المربيات ، وشراب الفواكه والكعك ومربى الفواكه وغيرها من الحلويات .

ويصنع الشراب بعصر العنب الناضج وتصفيته في منخل خشن لفرز القشرة والنواة عن العصير واللب . وبعدها يغلى العصير واللب لمدة سبع أو ثمانى ساعات حتى ينقص حجم العصير الى ربع حجمه الاصلى . ويجب اثناء الغليان تحريك العصير وازالة الطبقة السطحية التى تتراكم بين حين وآخر على سطحه عدة مرات متتابعة . وعند الانتهاء من هذه العملية يصب الشراب في اوعية نظيفة معقمة ويترك ليبرد . وتبلغ نسبة كمية السكر في شراب العنب هذا ٧٠ ٪ من محتوياته ، ويبقى في حالة طيبة لمدة سنوات .

ومن أراد صنع مربى العنب فعليه أن يضيف قطعا صغيرة مقشرة من التفاح أو الاجاص أو الخوخ أو السفرجل الى شراب العنب وهو في درجة الغليان، ثم يطبخها على مهل ، على أن يحركها طول الوقت لئلا تطفو القشرة على سطح الاناء . ونسبة خلط الفواكه مع الشراب لصنع المربى هى خمسة كيلوات من الفواكه في كيلو أو كيلو ونصف من شراب العنب.

واذا ركز عصير العنب بدرجة أعظم تكوّن منه «عسل العنب» الذى يستعمل في صنع كعك العسل والحلويات ، أو مادة أساسية في صنع المشروبات الباردة . وعندما تغلى الفاكهة مع عسل العنب نحصل على مادة تدعى زبدة العنب وهى مادة طيبة اذا استعملت في الساندويش .

ويصنع عصير العنب المختر من غلى عصير العنب المصفى مع كمية متساوية من السكر وشراب العنب لمدة عشرين دقيقة . ويستحسن أن يخلط قليل من الحصرم مع العنب لان الحصرم يحتوى على مواد نشوية كثيرة .

وفي صنع مربى العنب يجب أن نحافظ على اللب ونغليه مع العصير دون أن يزاد عليه أى شيء آخر .

ولربما كان عجين العنب شيئا جديدا لدى الاجانب غير أنه مادة محبوبة في هذه البلاد ويدعى بالعربية (الملبن) ويستهلكها السياح بكثرة وتصنع بطبخ قلب أو لب الحنطة مع عصير العنب وبعد ذلك ينشر الخليط لكى يجف لمدة بضعة أيام . وفي كثير من الاحيان يضاف اليهما بعض اللوز والصنوبر أو السمسم . و (الملبن) مرغوب فيه كثيرا في قضاء الخليل .

وتتعاون ادارة الزراعة مع مكتب مراقب المؤن في ايجاد طرق وأساليب لاستغلال هذا المحصول الكبير من العنب وتسهيل حصول الجمهور عليه ، وستنشر طرق الاستفادة عن طريق الاذاعة والنشرات باللغات الرسمية الثلاث ، وسترتب تجارب علنية يمكن للذين يحضرونها أن يروها بل أن يتذوقوا طعم الانتاج المنتهى.

وفي وسع ربة البيت الماهرة أن تقدم العنب ضمن قائمة الطعام على أشكال مختلفة كل يوم ، فهو جيد جدا في حساء الفواكه والبوظة ، بل من الممكن تحويله الى خشاف وخل وغير ذلك وفي وسعنا دون أى ازعاج أن نبدأ يومنا بالعنب كفطور بأكل عنقود منه.

من الفتاة الى الفتاة

ثقة الفتاة بنفسها مستمدة من ثقة اهلها بها

للآنسة عصام الحسينى

منذ أيام اجتمعت بفئة من كريمات العقيلات ومهذبات الفتيات ، وكانت بينهن فتاة قد أتمت دراستها الثانوية في فلسطين ، ولها استعداد فطرى ورغبة متحفزة يؤهلانها لاتمام علومها والامعان في دراساتها، وفيما نحن بالحديث اذ باحدى الحاضرات تقول : مالك يا فلانه لا تذهبين الى بيروت لتكملى تحصيل العلم هناك ؟ فنظرت اليها نظرة حزينة منكسرة ، ثم تنهدت وتأوهت وقالت : انى لى ذلك : انه أمر مستحيل لا يمكن أن يكون. فظننت أن ما أمرض نفسها وآلمها ضيق في مالية أبيها فرثيت لحالها وقلت لها : لم ؟ أليس الوالد في سعة يستطيع معها أن يرسلك الى مدارس أعلى ، فترقرقت في مآقيها دمعة سرعان ما انحدرت على خدها واجابت : ليت الامر كما تقولين ، اذن لخف الخطب ، وهان المصاب ، ولقنعت بما قدر الله لى من حرمان لا يد للانسان فيه. ولكن بيروت، أيجوز أن أذهب اليها ؟ أنا الفتاة الضعيفة أقيم فيها بعيدة عن أهلى ، أسير في طرقها من غير دليل ولا مرشد ؟ بيروت تلك المدينة الصاخبة هل يثق بى أبى ويرسلنى اليها وحدى ، انه يخاف عليّ هناك. وان خوفه هذا، وحقك، قد أخذ يتسرب الى نفسى فترينى غدوت أعتقد أننى لا أستطيع أن أسير خطوة واحدة من غير أب يحافظ ، وأم تراقب. ثم تململت قائلة وانى أصبحت أرى أن لابى الحق في هذه المحافظة الشديدة والخوف المتناهى ، فهل للفتاة الضعيفة أن تسير في ميدان الحياة وحدها؟ لا، ان هذا صعب جدا أن يكون لقد لقنت عن أبى أن الفتاة خلقت ضعيفة من كل ناحية وستظل ضعيفة خائرة الى النهاية فلذا تحتاج الى الارعاء والمحافظة عليها كما يرعى الانسان ويحافظ على أى شيء من ممتلكاته ، فسلامتها وقيمتها تكون بقدر ما يبذل من المحافظة عليها. وعلى هذا لا أكتمك ياصديقتى اننى أصبحت أحاول الاقتناع بما يراه أبى وانه لا يمكن للفتاة أن تتلقى علما في غير كنف أبيها وتحت رعايته مباشرة.

بالله ما أمر الواقع : فتاة في الخامسة والعشرين من سنها تقريبا ، لا يمكنها أن تذهب الى بيروت وحدها، الى ذلك البلد القريب ، لغرض سام شريف وهدف عال رفيع ، لا تستطيع أن تتم علومها هناك لا لسبب الا لان والدها يخشى عليها ، يخاف أن يلقى بها في أحضان المدنية وحدها فتضل السبيل. فتاة أصبحت هى الاخرى لا تثق بنفسها وتعتقد بأنها يجب الا تخطو بغير المرشد والدليل : لعمرى أما عرفت

سبل الحياة بعد ؟ أما كان لهذا الاب المحافظ أن يلقنها عناصر القوة والمنعة حتى اليوم ؟ ترى من الملوم في هذه الحالة. انه أبوها ولا ريب ، فقد حرمها من التربية المتينة ثم وقف أمامها يعلن ضعفها وعدم ثقته بها ، وخوفه عليها.

ألا أيها القوم : علموا فتياتكم الفضيلة ، واطبعوهن على مكارم الاخلاق ، علموهن أن يثقن بانفسهن ويعتمدن عليها ، ثم زجوا بهن في ميادين الحياة فلا ريب أنهن بعد ذلك يخرجن منتصرات.

ثقوا ببناتكم ولتشعر كل فتاة بأنها كائن حي عامل يمكنها أن تبرهن على وجودها وتقوم بالامر الخطير.

ان ثقة الفتاة بنفسها منتزعة من ثقة أهلها بها وعلى الفتيات أن يتعلمن كيف يثقن بانفسهن ، ليقل كل منا لفتاته ، أنت قوية ، أنت متينة الخلق ، أنت لا يعجزك الامر الصعب ، ولا يحول بينك وبين التقدم حائل ، أنت تستطيعين أن تفعلي كذا وكذا ، لا خوف عليك ، ولا وجل. أفلا تظنون أن مثل هذه الالفاظ تسمعها الفتاة بين وقت وآخر تقوى من عزيمتها وتخلق لها ايمانا بنفسها وثقة بقدرتها فتعمل الجهد على أن تحقق حسن الظن بها. ولولا ثقة المرء بنفسه لما استطاع الانسان أن يخطو أى خطوة الى الامام ، لانها القوة الدافعة والعامل الفعال.

أيتها السيدات وأيها السادة : ان هذه الظاهرة ظاهرة الخوف على الفتاة ، انها ضعيفة لا يتكل عليها ، ولا يلقى بالامور الجسام اليها ، لمن أعظم الاسباب التى تفت في سواعد فتياتنا وتقعد بهن عن السعى والجد ليساهمن بنصيبهن في الحياة الاجتماعية فينشأن خاملات بليدات لا ينظرن الى العالم الواسع الا نظرة الضعيف المتهزم الذى لا يستطيع أن يخوض غماره ، لم كل هذا ، أليست الفتاة مخلوقا اعتياديا ، أو ليس لها استعداد طبيعي يخولها أن تكون في الذروة ، وان لنا بفتيات العرب القديمات خير مثال نحتذيه ، أما كانت منهن الشاعرة والاديبة والمحدثة : أما كان نادى المرأة لا يقل عن نادى الرجل عظمة ؟ أما اشتهرت العربية بالقوة والصلابة والشدة ؟ أما خاضت غمار الحروب بنفس لا تقل عن نفس الرجل ثقة وايمانا.

ثقوا بالفتاة وبالمرأة واعتمدوا عليهما ، وانظروا بعد ذلك أنها أهل لهذه الثقة وذاك الاعتماد كل هذا بعد أن تكونوا بذلتم الجهد في القاء البذور الطيبة في تربية نفسها لتأتى بالثمر الشهى. وأنت يا فتاتى برهنى للرجل على أنك قوية مثله ، برهنى له على أنك لست ضعيفة تعبث بك الريح اينما شاءت ، وليكن منك للمرأة العربية اليوم ما يعيد مجدها السالف وعزها المندثر والى اللقاء.

مسامرات الاحداث

صور رائعة من البطولة الخالدة

١ — كثيرا ما سمعنا من الاخبار عن رجال المغامرات البريطانيين الذين يسمونهم الكوماندو — وأعمالهم الباسلة وأظن ان اكثر الاحداث يسمعونها كمجرد خبر حربى ولا يدرون شيئا عن أعمال البطولة التى تحدث فيها .

٢ — نعم ، هذا أكيد ولهذا رأينا من المستحسن أن نسرد بعض الحوادث التى تجرى في مثل هذه الاعمال .

١ — كم أحب أن أستمع الى مثل هذه القصص الواقعية عن الابطال ، وعلى فكرة لقد سمعت في الاخبار من مدة نبأ عن غارة قام بها الفدائيون من القوات البريطانية على مقر الجنرال رومل فهل تعلم شيئا مما جرى في هذا ؟

٢ — وكيف لا أعلم! أو مثل هذه الحادثة الجريئة يمر عليها المرء مرور الكرام ، فقد حدثنى زميلى عنها حديثا موجزا فهل لك أن تقصها علينا بالتفصيل.

٣ — بكل سرور ، ففى شهر تشرين الثانى الماضى خرج اللفتننت كولونيل كايس ومعه ثلاثون شخصا من الكوماندو وتوجهوا الى مكان يبعد مائتى ميل داخل الخطوط المحورية في شمال أفريقيا .

١ — اذا فلهذا السبب أنعم على هذا الضابط الشاب بوسام صليب فكتوريا .

٢ — وما ذا كان قصدهم من هذا التوغل داخل خطوط المحور ؟

٣ — لقد كانوا يقصدون أسر الجنرال رومل ، قائد الجيش الالمانى هناك . ولكنهم لسوء الحظ لم يجدوه ، اذ كان غائبا .

١ — هل لك أن تتم لنا ما فعلوا بعد أن اجتازوا هذه المسافة ؟—

٣ — عندما وصل هؤلاء الابطال قرب مقر الجنرال رومل ، صبغوا وجوههم باللون الاسود ، وأخذوا يتسللون بهدوء الى المقر حتى لا يشعر أحد بهم .

٢ — وكيف استطاعوا أن يدخلوا الى مقره ؟

٣ — لقد قرع الضابط كايس ومعه بعض الضباط التابعين له الباب . فلما فتح له أطلق الرصاص على الجندى الذى فتح الباب ودخل ومسدسه بيده . وأخذ يفتش المنزل فالتقى بضابطين ألمانيين كان مصيرهما مصير الجندى الذى فتح الباب . وفيما هو يفتش عن فريسته دخل غرفة مظلمة ، فسمع صوت تنفس ، فعلم للحال أن بعض الجنود مختبىء بها . فأطلق الرصاص عليهم وتقدم نحوهم غير هياب ولا وجل ، فأجابوه بالمثل .

١ — وهل بقى متقدما نحوهم عند ما أطلقوا الرصاص ؟

٣ — نعم ، فقد كان هذا الضابط يحمل بين جنبيه قلبا لا يهاب الموت في سبيل الوطن .

١ — لله ما أشجعه .

٢ — وما ذا حدث بعد ذلك ؟

٣ — لقد كان الرصاص ينهمر عليه كالمطر وهو هاجم فأصابته واحدة في مقتل فسقط على الارض قتيلا ، فقد مات موت الابطال وهو يخدم وطنه وبلاده بل والبشرية جمعاء .

٢ — وهل رجع رفاقه بعد أن رأوه قتيلا ؟

٣ — كلا فهذا ليس من عادة الكوماندو ، فان هؤلاء لا يبالون بالموت في الدفاع عن الوطن. فلهذا يقومون بأعمال لا يصدقها العقل أحيانا . فعندما سقط الكولونل كايس على الارض تقدم الشاويش الذى كان يرافقه مطلقا الرصاص على من قتل رئيسه وملأ الغرفة بالطلقات التى أفرغها من بندقيته . واذ ذاك تقدم ضابط آخر برتبة كابتن كان يرافقهما وأمطر الغرفة وابلا من القنابل اليدوية فنسفتها نسفا .

٢ — وهل عادوا بعد ذلك ؟

٣ — لا . فان مهمتهم لم تنته بعد ، فبعد أن نسفوا البناية بأجمعها رأوا محطة لتوليد الكهرباء على مقربة من المكان فأعطى الكابتن الذى كان قد أصيب برصاصة طائشة عندما اشتبك مع الجنود الالمان خارج المنزل ، أعطى ما تبقى لديه من القنابل الى أحد الجنود لكى ينسف المحطة بها وهذا ما حدث .

١ — وكيف تمكن هؤلاء من العودة بعد القيام بمثل هذه الاعمال ؟

٣ — لقد كان من المتفق عليه أن تهجم القوات البريطانية وتلتقى بهم في مكان معين ، ولكن رداءة الاحوال أعاقت الهجوم فاضطر هؤلاء الفدائيون للاختفاء في مكمن عن أعين العدو . ولكن العدو استطاع أن يعرف مكانهم فقاتلوه ، ولكنهم عندما رأوا عدد جنود الاعداء يزداد تفرقوا الى فرق صغيرة ورجع بعضهم الى القوات البريطانية الامامية .

١ — وهل أستطيع أن أعلم كم كان عمر هذا الضابط البطل ؟

٣ — سوف تتعجب عندما تعلم أن عمره كان أربعا وعشرين سنة .

٢ — ولم التعجب وهو ابن قائد بطل ، فأبوه أمير البحر السير روجر كايس ، والمثل العربي يقول ومن شابه أباه فما ظلم .

٣ — وليست هذه هي المرة الوحيدة التي جازف بها هذا الشاب في حياته .

٢ — نعم فقد علمت انه أبلى في معركة نارفيك بلاء حسنا أعجب الجميع . وقد أظهر شجاعة فائقة عند تحرير القطر الشقيق سوريا في السنة الماضية حتى انه أنعم عليه بوسام رفيع تقديرا لاعماله الباهرة .

١ — ان أعمال هذا البطل ستسجل صفحة ناصعة من الشجاعة في تاريخ بريطانيا العظمى ، وأرجو أن يقوم كثير من بين الاحداث عندما يصبحون شبابا بأعمال تشبه أعمال هذا البطل في الدفاع عن الانسانية حتى لا تبتلعها قوى الشر والفساد .

٣ — انى أحب سماع مثل هذه القصص ، فهل لكما أن تسردا على وقائع قصة مماثلة عن بطل آخر ؟

٢ — لقد قص لنا صديقى قصته عن بسالة رجال الكوماندو فهل تخافان اذا حدثتكما عن أحد أبطال الطيران المشهورين ؟

٣ — عجل بالله عليك ، فان أعمال الطيران تحتاج الى جرأة وبسالة وسرد مثل هذه القصص شهى للغاية تتوق أذنى لسماعه ، هل تمانعين بذلك يا آنسة ؟

١ — وهل هناك أشهى من سماع شيء عن أعمال الطيارين الباسلة الذين يقومون بأعمال رئيسية في هذه الحرب التى تعتمد على الطيران أكثر من أى شيء آخر . أسرع وهات ما عندك بالله عليك ؟

٢ — ان اسم هذا الطيار المغامر جيمس برلندى نكلسون ومما أريد الاشارة اليه انه لا يزال شابا في ريعان شبابه أيضا وقد لمع نجمه مبكرا في هذه الحرب حينما قام بأعمال خارقة للعادة عند ابتدائها ومنح وسام صليب فكتوريا ، هل سمعتما باسم هذا الطيار الجرىء من قبل ؟

٣ — لسوء الحظ لا نعرف عنه أكثر من أنه طيار باسل أسقط كثيرا من طائرات الاعداء وكثيرا ما نتوق لسماع شيء مسهب عن أعماله ، وأظن أن الفرصة واتتنى الآن لسماع قصته فحدثنا عنه يا صديقنا العزيز .

٢ — كان اليوم السادس عشر من شهر آب سنة ١٩٤٠ ، وكان الوقت عصرا ، حينما صدرت الاوامر اليه بأن يحلق مع سربه ليتعقب ثلاث طائرات ألمانية من قاذفات القنابل التى كانت ترى على بعد أربعة أميال تقريبا .

١ — انى ولعة بمعرفة طراز الطائرات فهل تعرف من أى طراز كانت قاذفات القنابل هذه ؟

٢ — عفوا فقد سها عن بالى أن أذكرها لك ، لقد كانت قاذفات القنابل من طراز يونكرز (٨٨) عند ما صدرت الاوامر اليه تتبعها حتى أصبح على بعد ميل واحد منها فرأى سربا من قاذفات اللهب البريطانية تهاجم الطائرات الالمانية من ناحية أخرى. فعاد نكلسون لينتظم في سربه ، وكان على علو ١٥ ألف قدم تقريبا في الجو ، وقبل أن يتمكن من العودة الى سربه في الجو سمع دويا هائلا على ثلاث مرات متوالية .

١ — ومن أين كان هذا الدوى ؟

٢ — أوه انك تقاطعيننى كثيرا في قصتى أفلا تنتظرين حتى أتمها عليك من نفسى .

١ — انى جد متأسفة لذلك ولكن لذتى في سماع هذه القصة تحببنى بمعرفة كل تفاصيلها في لحظة واحدة.

٢ — حسنا ، لنعد الى قصتنا اذن ، لقد كان هذا الدوى ينبعث عن شيء أصاب طائرته .

٣ — طائرته ؟ أو أصيبت طائرته وهو في الجو ؟ أسرع بالله عليك وأخبرنا كيف نجا ؟

٢ — نعم فقد أصيبت طائرته بأربع قذائف من الطائرات الالمانية وحتى تتلهف الآنسة على معرفة طرازها فسأقول لها — لقد كانت هذه الطائرات التى قذفت طائرته من طراز مسر شميت . فالقذيفة الاولى مزقت سقف طائرته وتطايرت منها شظايا أصابت عينه اليسرى ، والقذيفة الثانية أصابت مقدم الطائرة في خزان البترول فانفجر وأخذت النار تندلع من طائرته .

١ — حرسه الله . . أكمل حديثك .

٢ — أما القذيفة الثالثة فقد أصابت المقعد الذى هو فيه ومزقت سرواله الايسر .

٣ — انها لشجاعة نادرة أن يصمد وقد أصيب هذه الاصابات .

٢ — ليس هذا كل ما أصابه . فقد أصابت قذيفة رابعة كعب رجله اليسرى . ثم انحرف بطائرته قليلا لكى يتوقى قذائف أخرى كانت تنهال عليه من الطائرات الالمانية . ثم رأى أن طائرات مسر شميت قد أدركته ولكنها أصبحت في متناول مدافعه بحيث لا تبعد من أمامه أكثر من ٣٠٠ يارد .

١ — وهل تستطيع أن تخبرنا كم كانت سرعة الطائرة في هذه المعركة ؟

٢ — لقد كانت طائرته وطائرات الاعداء تنقض بمعدل ٤٠٠ ميل في الساعة ، وكانت أجنحة طائرته قد تحطمت وهى تذوب في النار ذوبان السكر في الماء .

٣ — وهل قفز من طائرته بعد هذه الاصابات التى أصيب بها ؟

٢ — لقد كان يستطيع أن ينجو بنفسه وذلك بأن يقفز من طائرته ويهبط الى الارض سالما ولكنه اختار لنفسه الموت المؤكد ببقائه في طائرته لينتقم ممن أصابوا طائرته ولكنه باختياره الموت وهبت له الحياة ، ولو ان نكلسون في هذه الساعة الرهيبة اختار الحياة لما كنا سمعنا عنه بأنه بطل مغوار بل كان ما فعله يعد ما يفعله أى رجل اعتيادى اذا أصيبت طائرته .

١ — وهل استطاع أن يقاوم وطائرته تندلع فيها النيران وجسمه مصاب بعدة قذائف ؟

٢ — نعم فان جسمه أصيب ولكن روحه لم تصب بل شجعته على مقاومة الاعداء ، فقد عض على نواجذه واعتصم بروح البطولة ومد يده وضغط زر المدفع وجعل يطلق النار على عدوه .

٣ — وكيف ذلك والنيران تكون قد جعلت المدفع حاميا مثلها ؟

٢ — نعم لقد وضع يده على زر المدفع الذى كانت النار قد جعلته في حرارة لا تطاق ، تشوى اللحم شيا . واستمر يطلق النار على طائرات أعدائه التى أخذت تزوغ وتضطرب وتتخبط كالطير الذبيح وهى تريد النجاة من نيران هذا الطيار الباسل التى كانت تنهال عليها كالمطر وبقى نكلسون يطلب الموت فتوهب له الحياة حتى كتب له النصر وكتب لطائرات مسرشميت وقوادها الخذلان واذا بها تصرع صرعة عنيفة فتغيب قليلا عن الانظار ثم تهوى الى البحر ركاما محطمة حيث استقرت في قعره الى الابد .

١ — لله دره من بطل ، فانه انتقم لطائرته أحسن انتقام ، هكذا فلتكن الرجال والا فلا .

٣ — يظهر أن الآنسة اهتمت كثيرا بالطيار حتى نسيت أن طائرته تحترق فقل لنا ما حدث بها بعد ذلك ؟

٢ — ما كادت هذه الدقائق القليلة تنقضى حتى أصبحت النيران تملأ طائرة نكلسون فجلس القرفصاء في مكانه الضيق حيث المظلة الواقية لكى يبتعد من النار ولكن الى أين يبتعد وهى تحيط به .

ولما أيقن نكلسون أن طائرات مسر شميت قد استقرت في قاع البحر صمم أن يقفز من الطائرة فقفز منها متوكلا على الله.

١ — وكيف تكون آلامه وهو يهبط الارض ؟

٢ — ان ما أصابه من آلام وهو يهبط الارض لشيء فوق الوصف حقا .

٣ — وهل رآه أحد وأسعفه حين هبوطه ؟

٢ — نعم فقد أسعف بالمورفين حتى لا يتألم فوق ما احتمل من آلام حين هبوطه . ومما تجب الاشارة اليه انه بعد أن أفاق من غيبوبته لاحظ أن زجاج ساعته قد ذاب من الحرارة وان الحزام الذى على جسمه قد ذاب .

١ — وماذا عمل بعد أن أفاق من غيبوبته ؟

٢ — لقد كان هذا الطيار متزوجا فأول ما عمله ارسال برقية لزوجته يطمئنها بها بأنه حى يرزق .

١ — انى أتصور الآن سرور زوجته حين استلامها هذه البرقية التى ملأت قلبها سرورا .

٢ — ومما زاد في سرورهما ان زوجته كانت حاملا وولدت له ولدا بكرا ، ليقر به أعين والديه . وهكذا ترون ان الحياة كتبت لنكلسون ليخوض ما بقى عليه من غمراتها .

١ — انى أشكرك جدا على هذه القصة وهل يستطيع أحد منكما أن يحدثنا عن غيرها ؟

٢ — أظن ان صديقى يعلم قصة أخرى ، وها نحن مستعدون لسماعها .

٣ — آسف لانى لا أستطيع سرد قصة أخرى عليكم لانى أظن أن الوقت لا يسمح بذلك فعسى أن نعود الى مثل هذه الصور الرائعة من البطولة في جلسة أخرى .



أرسلت هذه الصورة — وهى لاحد أبطال سلاح الجو الملكى — من انكلترا ، وقد قلد جلالة الملك هذا البطل وساما ، ويلاحظ القراء ان صورته أخذت وهو في طائرة القتال التى أهداها سكان البحرين في العام الماضى لسلاح الجو الملكى .

ساعي البريد

للاستاذ نصرى الجوزى

تقع قرية المرج في بقعة صحية هادئة من جنوبى لبنان ، يؤمها الناس المتعبون من عناء الفكر الرهيب والهاربون من ضجة المدن وضوضائها . وهى تشرف على واد خصيب جميل تتوسطه عين ماء عذبة يقول عنها الاطباء انها صحية جدا تقتل الامراض بسرعة البرق وتعيد صحة شاربيها ونشاطهم .

وفي تلك القرية الساحرة بمناظرها الهانئة بلطف سكانها ، يقع فندق «الامل» الذى يديره العم شفيق وهو شيخ يناهز السبعين من عمره على الاقل ، الا أنه ما زال يحتفظ بقواه الجسمية والعقلية ، فهو اللولب المتحرك في الفندق والحركة الدائمة فيه .

كنت أقطن في الغرفة الخامسة عشرة من الطابق الثانى ، وهى غرفة تطل على عين الماء وعلى الحقول المكتسية بالحقول الخضراء . فما يكاد ينبثق الفجر وتنشر الشمس خيوطها الذهبية حتى أكون قد تركت الفندق فاتحا صدرى للهواء العليل ، موجها بصرى الى تلك الشمس التى لم يستطع أحد من البشر أن يسبر غورها واسرارها وسحرها .

أسير من الفندق الى نبع الماء واجلس على صخرة قريبة منها ، واسترسل وراء خيالى الشاعرى ،



أول صورة تنشر للقنبلة التى يبلغ وزنها طنين (ألفى كيلو) ، وسلاح الجو الملكى يلقيها وأمثالها على ألمانيا وقد أخذت الصورة في أميركا .

واطلق لافكارى العنان لتحلق في عالم السحر والجمال واتفرس الافق البعيد علنى استكنه أسرار الازل واستطلع ضمير الغيب .

واظل في جلستى هذه حتى الساعة السابعة ، اذ يسرع نزلاء الفندق يفدون الى المكان الذى أنا فيه ، مع بعض عشاق الجمال من سكان القرية والقرى المجاورة .

اسير في الشوارع فتشرئب الى الاعناق علها تعرف من هو ذلك الانسان الذى يؤثر الصمت وبفضل الوحدة ، أجلس في حديقة الفندق فأسمع همس الناس وتحدثهم عنى بعبارات الشفقة تارة والاستهزاء أخرى ، أقف في شرفة غرفتى لانعم بجمال الطبيعة فاشاهد الايدى تشير الى كأنها تقول «أنظروا هذا هو الانسان الوحيد في هذه القرية الذى لا يجارى الناس انشراحهم والشباب لذتهم» اننى انسان عادى مثلهم انما متعب من جراء التعليم الذى مارسته .

وذات يوم قرع باب غرفتى صباحا وكنت استعد للخروج .

«من الطارق»

«أنا العم نجيب»

«تفضل ، تفضل»

وتوجهت الى الباب لافتحه ولا أعرف شخصية الطارق واذا بى وجها لوجه أمام رجل نحيل ، خائر القوى ، هزيل الوجه ، ضعيف القدمين أصفر الوجه تقرأ في عينيه آيات الالم الشديد يناهز السبعين من عمره ويرتدى سروالا ممزقا يكاد يظهر عورته.

« هل من خدمة ؟ »

«أنا العم نجيب»

«تشرفنا . تفضل بالدخول»

«لا ، أشكرك أنا عمك نجيب أنا ساعى البريد هل من تحارير تريد أن تبعث بها ؟ »

« الا يوجد فرع للبريد في هذه القرية ؟ »

« كلا يا استاذ ، أنا أنقل تحارير هذه القرية ثلاث مرات في الاسبوع الى فرع البريد في القرية المجاورة».

« هذا لطف منك. وكم مضى عليك في هذا العمل ؟ »

«سبعة وعشرون سنة » .

« ولم لا تترك العمل وتستريح ؟ »

« هو المورد الوحيد الذى يدر علىّ ربحا».

« أنا يتيم. لا أهل لى ولا أقارب »

وعزيته بما تيسر من الكلمات وشكرته على رقته ورجوته أن يمر بى في المرة القادمة. وألفت أن أرى العم نجيب ثلاث مرات في الاسبوع أو أكثر ، فهو يمر بكل بيت في القرية ويتسلم الرسائل من أصحابها ويقطع السبع كيلومترات الى قرية القلعة سيرا على الاقدام.

يذهب عند شروق الشمس ويعود اليها في الغروب أو ما بعده بقليل ويدور على بيوت أصحاب الرسائل التى أتى بها ويوزعها. فهذا ينقده غرشا سوريا ، وذاك يعطيه قطعة من الخبز أو قليلا من الزيتون ، وثالثا يعده بسلة من التين أو العنب ، وأما السيدات والآنسات فلهن في العم نجيب تسلية كبرى ، فهن لا يفككن عن تذكيره بحبيبته زايدة التى أحبها في صغره والتى خانت وداده وجرحت قلبه وانصرفت عنه الى صاحب مخزن حقير في القرية.

وأما العم نجيب فيغتنم الفرص لمداعبة العجائز والآنسات ، فهو يسرد لكل واحدة منهن تاريخ حياتها الغرامية بحذافيرها أو احدى قريباتها ، المنتقلات الى رحمة ربهن . وأما الآنسات الصغيرات الجميلات ذوات الماضى الناصع فانه يهز أكتافه ويقول لهن بلهجته اللبنانية البسيطة «ربنا يستر»

هو حركة القرية الهادئة وروحها المرحة يصرخ قبل أن يدخل البيت بمسافة بعيدة.

« نهارك سعيد يا أم سامى ». صبحك بالخير يا بدرية. صبحناك يا استاذ جميل ».

لمن رسالتك يا آنسة بدرية. لحبيبك. يحفظه الله لك. هاك رسالة يا أم سامى من ابنك في أميركا. يا عم داود تقبرنى.

وأهل القرية ازاء خدماته الجليلة التى يقوم بها داخل القرية وخارجها يفرقون عليه القليل من حبوبهم وثمارهم ومزروع أرضهم فيتقبلها شاكرا وينطلق لسانه بالدعاء والحمد والثناء

« من هو ساكن الغرفة ١٥ ياعم نجيب ؟ »

« حدثنا عنه ؟»

« أخبرنا لمن يكتب تحاريره ؟ »

« لماذا لا يختلط بنا كسائر النزلاء ؟ »

ويأتى العم نجيب في الصباح وينقل الىّ أقوال الناس ويقول لى أهل القرية بسطاء فاختلط بهم. ونزولا عند حاجات صاحب الفندق والعم نجيب صرت أجتمع بالكثيرات والكثيرين وأقضى أوقاتا لذيذة استأنس فيها الى رقة أولئك السذج واستمع الى حوادث كثيرة ذات أهمية للكاتب القصصى.

وذات يوم مرض العم نجيب بالانفلوانزا فتعطلت دائرة البريد السيارة وشلت حركتها وصارالبعض يكلف الآخر ممن سيذهب الى القرية المجاورة أن ينقل اليه تحاريره أو طروده. وتذمر المصيفون واشتد سخط ذوى الاشغال وتحركت شوارب العم نجيب شقيق صاحب الفندق خوفا من أن ينتقل النزلاء الى قرية أخرى وضج المحبون لقلة الرسائل المتبادلة واستشاط شيوخ القرية وعجائزها لعدم استلام رسائلهم من المهجر وقامت قرية المرج بأجمعها تحتج على السلطات وتلح في طلب فرع للبريد في قريتهم المباركة.

وبلغ الخبر العم نجيب فهب من فراشه فزعا مذعورا هائجا يلعن العم شفيق صاحب الفندق لانه ابتدع تلك الفكرة الجهنمية.

« كيف يمكن أن يقوم غيرى بعبء هذا العمل الذى يكفل لى العيش في هذه الحياة. أتريدون أن أقف على أبوابكم استجدى ؟ انى آكل من عرق جبينى ماذا يهمكم ان كنت أمشى ١٤ كيلومترا في اليوم الواحد. هل تتعبون معى — هل تتألمون لالمى ؟ »

من منكم عادنى في مرضى سوى هذا الاستاذ الغريب نزيل نمرة ١٥ الذى طليتم لتعرفوا أخباره. لن أسمح بتأسيس فرع للبريد قبل أن تفارق روحى جسدى . أنتم منافقون . أنتم نفعيون تملأون بطونكم على أتعاب الفقراء المساكين أمثالى. وازداد شحوب العم نجيب وساءت صحته ولكنه مع هذا ظل ينهض كعادته مبكرا ويحمل كيسه وراء ظهره ويدور يجمع الرسائل من بيوت القرية القريبة والبعيدة ، ومن منتزهاتها وفنادقها. وهو يسأل الله أن ترفض الحكومة طلب الاهلين.

وتاقت نفسى ذات يوم أن أزور القرية المجاورة فامتطيت سيارة تكرم سائقها بترك مكان لى فيها ، وسارت تقطع بنا تلك المنعطفات وتطوى الارض الحجرية طيا ، وفيما نحن في منتصف الطريق اذ بنا نسمع انينا مزعجا وصوتا مرتفعا يصرخ بالشوفير «يا نعمت الله. يا نعمت الله». فلم يعره السائق أذنا صاغية وهم أن يتابع سرعته فقلت «الا تقف له ؟» فادار السائق جذعه الايمن نحوى وقال هذا العم نجيب ساعى القرية ، فقلت «أليس بشرا؟» فابتسم السائق وقال ولكنه لم يركب سيارة في حياته. انه يركب رجليه. فقلت. «لا بأس خذه معك وأنا أدفع لك الاجر كاملا.

فرضخ السائق ونزل من عن كرسيه وتوجه ليساعد العم نجيب على النهوض. «آخ. آه. سأموت سأموت».

امثال العوام في بلاد الشام

ليست اللغة العربية ، ولا لغة أخرى من لغات العالم ، مقصورة على بيت الشعر وعبارة التاريخ ، ورسالة النثر ، وخطبة الخطيب وكنى مما يندرج تحت انتاج اللغة الصحيحة :

ولكن ، الى جانب هذا كله ، في اللغة العربية ، وفي كل لغات العالم الاخرى ، اللغات الحية ، يمشي المثل العامى الدارج ، الى جانب الامثال الصحيحة ، والاقوال المأثورة ، والنظم والنثر ، في تلك اللغات ، فأمثال العوام ، لها نصيب من الحكمة ، كما للامثال الصحيحة ، ولم لا يكون لامثال العوام هذا النصيب من الحكمة ، وهى بنت العقل والنظر والخبرة ، ولها من المزايا ما للامثال الصحيحة ، وان اختلفت عنها من حيث الصيغة وقواعد اللغة ، ؟ واذا صح أن أمثال العوام ، هى جزء من الادب الشعبي ، فيترتب على هذا أيضا أن يكون لامثال العوام جميع المزايا الاخرى من حيث الرونق ودقة التعبير والفكاهة ، فطورا نلمح في خلال هذه الامثال ، فلسفة بسيطة ، وتارة نقرأ فيها رأيا حكيما مبنيا على الدرس والخبرة ، وهذا العنصر من الادب الشعبي ، كائن حى في جميع الادوار ، لا يفنى ولا يزول ، وهو نفسه ، أى هذا العنصر من الادب الشعبي ، له أدوار مختلفة كما للادب الصحيح من ارتقاء وازدهار عصرا ، وانحلال وانحطاط عصرا آخر ،

اذن ، يكون من اللذة والفائدة أن نستفيد من أمثال العوام ، وأن نرى ما في هذه الامثال من حكمة ونظر وخبرة ، حتى وفلسفة بسيطة ،

ولكن ما الحيلة في هذا ، والكتب التى جمعت هذه الامثال ، أمثال العوام قليلة جدا ، ولكن هذه المشكلة ، مشكلة العثور على كتاب جامع لهذا العنصر من الادب الشعبي ، قد حلت أخيرا بالعثور على كتاب (أمثال العوام في مصر والسودان ، والشام) للكاتب المؤرخ ، نعوم شقير ، وكتابه هذا طبع في القاهرة ، منذ ثماني وأربعين سنة ، وفيه جمع صاحبه نحو ٣٥٠٠ مثل ، من الامثال الدارجة ، المتداولة في بلاد الشام ، ومصر والسودان ،. وقد رأينا من الضرورة ومن حق هذا المؤرخ ، أن ننشر قسما من المقدمة النفيسة ، التى وضعها لكتابه ، وهى مقدمة أديب لبيب ، جامعة مانعة ، وقد انعكس فيها رأى الاديب العربى ، في ما للامثال العامية من القيمة ، وما فيها من لذة ،

هاكم ما قال المؤلف في القسم الاول من مقدمته :

الامثال غرس الحكمة ونبت الخبرة ومقياس الادب. وهى تنبت في كل أرض وتظهر في كل عصر ، ولا تكاد تجنح أمة الى العمران ، أو تتألف لها لغة ، الا تنطق بالامثال.

وللامثال حالات خاصة ، ومقامات مشهورة ، تظهر بها ، فاذا عرضت الحالة ، وناسب المقام ، أخرجها أهل النظر والخبرة ، بما راع من اللفظ ، وبدر من المعنى ، فتبرز في الكلام ممتازة عنه، فيتناولها الجمهور ويتداولها في حالاتها ، ثم تنتشر وتدوم بالاستعمال ، قالت العرب في أمثالها ، ان يبغ عليك قومك ، لا يبغ عليك القمر ، وأصل هذا المثل على ما رواه المفضل بن محمد ، أن بنى ثعلبة بن سعد بن ضبّة ، في الجاهلية ، تراضوا على الشمس والقمر قبل أن تطلع الشمس ، فتراضوا برجل جعلوه حكما، فقال رجل منهم ، ان قومى يبغون عليّ ، فقال الحكم ، ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ، فذهب قوله مثلا ، وظاهر أن هذا القول ، لم يكن ليضرب على هذه الصورة لولا حكاية الحال ، التى أتى عليها المفضل ، ولولا أن المقام مشهور ، والقول الذى جاء به الحكم جزل ، ما تناوله الجمهور وشاع حتى صار مثلا ، هذا وقد يأتى القائل بما يحسن أن يتمثل به ، الا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا ، فالمثل حكمة سائرة.

ويكاد يكون للامثال صيغة خاصة وصفة عامة ، تعرف بهما ، فترى المثل في الغالب مركبا من فقرتين، الواحدة منها متممة للاخرى ، وكثيرا ما تتساويان في الوزن والفاصلة ، كقولهم : اليوم خمر وغدا أمر، أو تتساويان في الوزن دون الفاصلة ، كقولهم : دواء الدهر ، الصبر عليه ، أو تتساويان في الفاصلة. وتختلفان في الوزن ، كقولهم : صدرك أوسع لسرك ، ونحو ذلك ،. ومن الامثال ما لا يدخل تحت هذه الاحكام ، كقولهم : العود أحمد ، و : دع الشر يعبر ، وغير ذلك وانما يمتاز هذا النوع من الامثال كما تمتاز تلك بجزالة اللفظ واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، مع تمام البساطة والرقة ، فهى نهاية البلاغة ، ولذلك سهل حفظها وانتشارها، فكانت أكثر سيرا في الناس ، ودورانا على الالسنة من سائر الكلام ، وليس في الكلام ما هو أوقع في الاسماع ، وأشد تأثيرا في النفوس من الامثال

ولذلك اعتنى الادباء بالامثال في كل بلاد ، وفي كل عصر ، وجعلوا لها بابا خاصا في آداب اللغة ، وجمعوا فيها الكتب الجمة ، وأول من جمع الامثال فيما نعلم ، سليمان الحكيم ، بن داود ، كتبها بالعبرانية ، في القرن العاشر قبل الميلاد ، وضمت الى أسفار التوراة ، وجعلت فيها سفرا على حدته ، واما القسم الاخير من هذه الامثال ، أى من الفصل الخامس والعشرين ، الى آخر السفر ، فقد روى المحققون أنه ليس لسليمان ، بل جمع بأمر حزقيا ، ملك اليهودية ، في القرن السابع قبل الميلاد ، ثم كان عصر اليونان فنبغ فيهم الفلاسفة ، فتكلموا في المثل وآدابه ، وجمعوا من الامثال كتبا جمة، قال أراسموس : المثل قول مشهور ، يشير الى قصة لطيفة ، وقال سرفنتس : المثل زبدة اختبار طويل ، مفرغة في قالب صغير ، وقال أرسطو : وكأن الامثال متخلفات حكم قديمة أدركها الخراب ، فسلمت هى من بين تلك الحكم ، لمتانتها وجزالة ألفاظها ،. وقد جمع أرسطو كراسا في الامثال ، وجمع زنوبيوس في القرن الثانى للميلاد، ٥٥٢ مثلا ، وديوجينيانوس ، الذى عاش في هذا القرن نفسه ، ٧٧٥ مثلا.

ثم كان عصر الرومان ، فاشتغل أدباؤهم بالامثال، وكان شيشرون ، يستشهد في أقواله وكتاباته بأمثال اليونان ، ثم كانت العصور المظلمة في أوروبا ، فدرست معالم الادب ، وطمست آثار العلم ، فاذا كان القرن الخامس عشر للميلاد ، ظهر ميخائيل أبوستوليوس ،في مدينة القسطنطينية ، وجمع ألفين من الامثال القديمة ، فطبعت في ليدن سنة ١٦٣٥ م، ومن ذلك الوقت ظهرت مجموعات جمة للامثال في كل بلاد.

وأما الامثال العربية ، فلا نعلم أنها جمعت في كتاب قبل عصر الخليفة هرون الرشيد ، في القرن الثانى للهجرة ، فنبغ في هذا العصر كثير من العلماء ، منهم أبو عبيد ، وأبو عبيدة ، والاصمعى ، والمفضل بن محمد ، والمفضل بن سلمى ، والمفضل الضبي ، فكتبوا في الامثال العربية الجاهلية ، والتى في صدر الاسلام ، وردوا كل مثل الى أصله ، فأتوا على حكايته بما كان معروفا عندهم في ذلك الحين.

ثم جاء عصر المولدين ، فنشأت عندهم أمثال غير التى جمعت في كتب القوم. وأول من كتب فيها ابن عبد ربه الاندلسى ، المتوفي سنة ٣٢٨هـ. ، فضمن كتابه ، العقد الفريد ، عددا منها.

ونزل الركاب من السيارة وساعدناه أن يقف على رجليه وهممنا أن نأخذ أماكننا ونستأنف سيرنا الا أننا سمعنا صرخة داوية من خلفنا ورأينا العم نجيب يخر الى الارض وهو يصرخ «سأموت سأموت» فحملناه الى السيارة ثانية وعرضناه على طبيب في القرية المجاورة فهز رأسه هزة اليأس وقطع الامل من شفاء ذلك الجسم المتهدم. وظل العم نجيب في غرفته الحقيرة ، مدة طويلة يعانى فيها شدة المرض وفتك الجوع وقلة العناية حتى فاضت روحه الى خالقها شاكية اليه تعالى ظلم الانسان لاخيه الانسان. وفي اليوم نفسه كان أهل القرية متجمهرين حول فرع البريد الجديد الذى قررت الحكومة تأسيسه في قرية «المرج».

وقام بعده أبو هلال ، حسن بن عبد الله العسكرى المتوفي سنة ٣٩٥ هـ. ، فجمع : جمهرة الامثال ، ولم يدخل فيها شيئا من الامثال المولدة ، ولكنه أجاد في تأليفها حتى كانت أحسن ما ألف في الامثال الى عصره.

وبقيت كذلك الى أن قام أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى ، المعروف بالميدانى ، المتوفي سنة ٥١٨ هـ ، فطالع كتب الادباء الذين تقدم ذكرهم ، وكتب غيرهم ، نحوا من خمسين كتابا ، وألف كتابه المسمى : مجمع الامثال : ، جمع فيه ما ينيف على ستة آلاف مثل من الامثال العربية الفصحى ، والمولدة وشرح الامثال الفصحى منها شرحا مستوفيا ، وأحسن في التأليف حتى جاء كتابه أكبر وأفضل كتاب ألف في الامثال العربية ، الى أيامه ، ولا يزال كذلك الى اليوم ، وقد جاء في ترجمة حياة الميدانى ، في كتاب كشف الظنون ، أن الزمخشرى ، بعد ما ألف المستقصى في الامثال ، وقع له مجمع الامثال للميدانى ، فأطال نظره فيه وأعجبه جدا ، ويقال أنه ندم على تأليفه المستقصى ، لكونه دون مجمع الامثال ، في حسن التأليف والوضع ، وبسط العبارة ، وكثرة الفوائد ، أهـ. فكان كتاب الميدانى قد أغلق على الامثال العربية الفصحى ، ولم يبق للقوم مجال للكلام في غير الامثال المولدة ، لان هذه تختلف في كل بلاد وتتجدد في كل عصر ، وأول من كتب فأجاد في الامثال المولدة ، بعد الميدانى ، شهاب الدين بن أحمد الابشيهى ، صاحب المستطرف ، ومن علماء القرن التاسع للهجرة ، فضم الى كتابه مجموعة لطيفة من أمثال أهل زمانه.

ثم لم يكتب أحد بعد ذلك في الامثال المولدة ، حتى أوائل القرن الماضى ، فظهرت فيه مجموعة لشرف الدين بن أسد ، ضمنها ألف مثل ومثلا من الامثال العامية المصرية ، فتناولها بورخارت ، السائح الالمانى الشهير ، عند مجيئه الى مصر ، في أوائل هذا القرن ، وترجمها الى لغته ، ثم ترجمت الى اللغة الانكليزية ، وكان هذا آخر عهدنا بالامثال . أما الامثال العصرية فلم يكن لها كتاب معروف ، ولذلك ، ولما كنت أشتغل منذ بضع سنوات في كتاب : مرآة الايام في مصر والسودان ، والشام ، وكان الغرض من هذا الكتاب ، الاحاطة بكل ما تجب معرفته عن هذه البلدان الثلاثة ، في التاريخ والجغرافية ، والاخلاق والعادات ، والخرافات ، واللغة والاداب ، ونحو ذلك ، مما هو شبيه بانسكلوبيدية عصرية ، وكانت الامثال من أهم ما تجب معرفته من آداب القوم ، اذ هى مرآة تنعكس منها أخلاقهم وعاداتهم ، وشاهد عدل على حالة لغتهم ، ولذلك كله ، رأيت أن أضمن كتابى هذا ، مجموعة في الامثال العصرية ، وقد جلت في هذه البلاد الثلاثة من أنحائها الى انحائها ، ومازجت الكثيرين من أهلها على اختلاف طبقاتهم ونحلهم ، فجمعت من أمثالهم أكثر من عشرة آلاف مثل ، انتقيت منها هذه المجموعة ، وهى تشتمل على ٣٤٩٤ مثلا ، منها ١٤٣٥ مثلا شاميا ، و١٥٢٦ مثلا مصريا ، و٥٣٣ مثلا سودانيا ، فجاءت أكبر مجموعة ألفت في الامثال العامية ، الى هذا اليوم ، وسميتها «أمثال العوام في مصر والسودان ، والشام».



وجدت هذه الصورة مسجلة على «فيلم» في جيب أسير ألمانى وقع بين أيدى الجنود البريطانيين في ليبيا ، وقد أخذت أثناء غارة واقعية شنها سلاح الجو الملكى على مطار ألمانى هناك ، وما سجل ذلك الجندى تلك الغارة الا لشدة ما يعانيه هو ومواطنوه من تلك الغارات . والسحب المتصاعدة من الدخان ناشئة عن اصابة مباشرة في احدى قاذفات القنابل الالمانية الرابضة على الارض ، ومن الممكن رؤية احدى الطائرات البريطانية المغيرة قرب تلك السحب .